مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

تقييم جغرافي لبيئة التراث العمراني في مدينة تعز القديمة(*)

د/ خالد عبد الجليل النجار
أستاذ جغرافية السياحة المشارك
قسم الجغرافيا بكلية الآداب جامعة تعز- اليمن
alnagar.yem@gmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 6/6/2022 تاريخ قبوله للنشر 29/6/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

تقييم جغرافي لبيئة التراث العمراني في مدينة تعز القديمة

د/ خالد عبد الجليل النجار
أستاذ جغرافية السياحة المشارك
قسم الجغرافيا بكلية الآداب جامعة تعز- اليمن

ملخص الدراسة

شهدت مدينة تعز القديمة عددًا من التطورات العمرانية والاجتماعية والاقتصادية خلال القرن الماضي. واثرت هذه التطورات بالسلب على تراثها العمراني للحضارة الإسلامية. حيث تعاني حاليًا من نمو عمراني مفرط لا يتوافق وقيمتها التراثية، ومتطلبات حمايتها بيئياً، وتطويرها سياحيًا. وادي هذا النمو إلى تطبيق سياسات تنموية تسببت بالكثير من المشاكل البيئية والعمرانية للمدينة. مما يفرض ضرورة الحفاظ على إرثها واستدامته وتحسين نسيجها العمراني وربطه بالنسيج الحضري الحديث لمدينة تعز الحديثة من خلال تطويرها بطريقة متوازنة ومستدامة وتؤمن رقابة فاعلة عليها، لذا هدفت وتوصلت الدراسة الى اقتراح الية لتطويرها وحمايتها من أي تخريب محتمل قد يؤثر على بيئتها وهويتها التراثية وتعظيم الاستفادة منها كموارد لتنمية سياحية أكثر استدامة، وتبصر الجهات الرسمية بالمشاكل والتحديات وبأولويات التطوير والحفاظ على بيئة التراث العمراني فيها، ولتحقيق أهداف الدراسة فقد تم المزج بين عدد من المناهج منها: الاقليمي والموضوعي والتطبيقي والأيكولوجي ومنهج النظام، بالإضافة إلى عدد من الأساليب البحثية منها: الفوتوغرافي والتمثيل الكارتوجرافي الرقمي. ومع ذلك تعتبر الدراسة الميدانية الأداة الرئيسة لتحقيق أهداف الدراسة.

الكلمات المفتاحية: السمات المكانية، الخصائص العمرانية، التقييم، آلية التطوير.

A Geographical Assessment of the Urban Heritage Environment in the Old City of Taiz

Dr. Khalid Abduljaleel Mohammed Al-Najar

Participant Professor in Geography of Tourism

Department of Geography, Faculty of Arts- Taiz University

Abstract

The old city of Taiz has witnessed a number of urban, social and economic developments during the last century. These developments negatively affected its urban heritage of Islamic civilization. It is currently suffering from excessive urban growth that does not comply with its heritage value, environmental protection requirements, and tourism development. This growth led to the implementation of development policies that caused many environmental and urban problems for the city. Which imposes the necessity of preserving its heritage and its sustainability and improving its urban fabric and linking it with the modern urban fabric of the modern city of Taiz through developing it in a balanced and sustainable manner and ensuring effective control over it. As resources for more sustainable tourism development, and the official authorities are aware of the problems, challenges and priorities of development and preservation of the urban heritage environment in it. digital. However, the field study is the main tool for achieving the study's objectives.

Keywords: Spatial features, Urban characteristics, Evaluation, Development mechanism.

المقدمة

يعد التراث العمراني من أهم الثروات الوطنية في أي دولة ما، نظراً لما يشتمل عليه من عناصر تمثل الجزء المهم من الهيكل العمراني للمدينة الحديثة (الصرايره، 2017، 41). وتشكل حالة اجتماعية وثقافية ذات خصوصية، وليست مجرد كتل وأبنية وواجهات، ولكنها منظومة حضارية تعبر عن تفاعل السكان مع بعضهم البعض ومع محيطهم، فعندما تمتلك أي مدينة أثرية بنيان وهياكل اقتصادية واجتماعية وثقافية وخدمية ومؤسسات إدارية متطورة ومستقرة، فإن ذلك يعنى أن المجتمع يستطيع أن يحقق زيادة مستمرة ومتواصلة في التطوير والارتقاء بمعالم التراث، وما ينتج عن هذا الاهتمام من زيادة في الناتج الوطني والدخل الفردي (الحداد، 2004، 386). ونتيجة للتطور والتحول الحضري للمدن التاريخية، قد يتم إهمال أو تهميش معالم التراث بها، وتكمن المشكلة في تحقيق التوازن بين التنمية، والتي قد تضر بالمناطق الأثرية، وبين الحفاظ على معالمها (الزهراني، 2012، 25). ففي الدول الأوربية أصبحت عملية التطوير والحفاظ على معالم التراث العمراني جزءاً من أهداف التخطيط والتطوير الحضري. وذلك من خلال تحقيق التكامل بين إدارة التخطيط والتطوير، وسياسات الحفاظ على معالم التراث (قسيمة، 2010، 131). أما في اليمن فالتنمية بالمدن التاريخية لا تعير اهتماماً لمعالم التراث العمراني، إلا بقدر ما تتطلبه عملية التنمية نفسها. ومن هنا يأتي الاهتمام بنوعية ومستوي تطوير وإدارة معالم التراث العمراني السياحي في مدينة تعز القديمة، كمدخل أساسي للإرتقاء بمعالمها، ولتحسين معيشة سكانها، فالإنسان هو هدف التنمية ووسيلتها في آن واحد.

ويعرف الموروث العمراني بانه كل ما شيده الأجداد وأستمر بقاءه أو بقاء آثاره من حضارة سواء داخل المدينة أو خارجها، وتتباين قيمته بحسب قدم هذه الآثار والفترات التاريخية التي تنتمي لها، وبحسب موادها البنائية والفنون المعتمدة في إنشاءها، فضلا عن قوتها في مواجهة الزمن والظروف التي توالت عليها.

وعند الحديث عن الموروث العمراني في أي مدينة ما، فلا بد من الإشارة إلى أن المدينة ذاتها تمر بمراحل وأطوار تبدأ بنشأتها أو صيرورتها حتى مرحلة الشباب والذروة لتنضج فيما بعد ومن ثم قد تشيخ وتضمحل، أو قد تقوم على أعتابها مدينة بمواصفات حضارية تتماشى مع التطور الحاصل. إن مرور المدينة بهذه الأطوار على مر الزمن يجعل من المنطقة المبنية خلال مرحلة النشأة ذات عمر تاريخي طويل مقارنة بالمناطق التي جاءت تاليًا، ويعطي لهذه المنطقة عمقًا تاريخيًا من حيث طبيعة الطراز البنائي المعتمد آنذاك ونوعية مادته، وخصائص مجتمعها من حيث حجمهم ومستوياتهم الثقافية وطبيعة تفاعلهم مع البيئة مما أفرز ما يعرف بالمنطقة التقليدية أو منطقة الموروث العمراني التي تحمل في طياتها القيم الروحية والجمالية مسجلةً في ذلك ثقافة المجتمع وملامح شخصيته بين ثناياتها ومنقوشة على آثارها المعمارية (آل سالم، 2020، 408).

وتنبع أهمية الموروث العمراني من عمقه التاريخي؛ فجذوره التي تمتد في ماضي الأيام ليشكل حلقة الوصل مع الحاضر ويرسم صورة المستقبل، وهو معبر وناقل لتاريخ الاسلاف الذين عاشوا وابتكروا أنماط وأسلوب حياتهم وتفاعلوا وتناغموا مع بيئتهم، ليتركوا لنا تراثاً قيماً يمدنا بما وصلوا إليه من فكر العمارة وتطور طرزها، لنتمكن من مزاوجة هذا الفكر مع التطور الحاصل والخروج بخلاصة معمارية تربط بين الماضي والحاضر لا تفصل بينهما ولا تعمل على قتل الإرث المعماري من خلال ما يعرف (بعملية التهجين). ناهيك عن الأهمية التي يمكن أن يستمدها الموروث العمراني من

إمكانية استثماره كمورد سياحي في حال حمايته وتوفير المرافق الخاصة في هذا المجال، إذ أن عناصر النسيج الحضري التاريخي تعد من أهم الشواخص الحضارية وعناصر الجذب السياحي في كثير من دول العالم.

ومما لا شك فيه فإن معالم التراث العمراني في مدينة تعز القديمة يتعرض للتداعي بشكل مستمر وبتأثير عوامل متعددة، والتداعي العمراني هو اضطراب شكلي يصيب هياكل المباني يحدث بفعل مسببات طبيعية وبشرية مقرونة بالإهمال المستمر وغياب استراتيجيات المعالجة الفنية اللذان يقودان بالتالي إلى تهدم وانهيار المباني وفقدان مميزاتها الأساسية. ويمكن تمييز مشكلة التداعي التي تشهدها المباني من خلال واقعها العمراني الرديء، كأن يظهر عليها مؤشرات التلف والتآكل والتساقط لبعض أو مجموعة من أجزاء تركيبها المعماري وحسب درجة وشدة التداعي.

ونظراً لأهمية الموروث العمراني، ينبغي أن تعتمد سياسات معينة تهدف لإحياء الموروث وحمايته من التلف والدمار والتآكل، إذ أدى إلى إحداث تشوه في شكل الموروث ومضمونه (مظهرياً وجوهرياً)، وبغض النظر عن درجة التشوه الحاصل. والبحث هنا بصدد تحديد أهم الاليات والسياسات والمعالجات الممكنة التي من شأنها إحياء الموروث العمراني والحفاظ عليه وجعله ممكناً بالطريقة التي تحفظ تاريخه وخصائصه البيئية والعمرانية والمعمارية التقليدية ذاتها دون المساس بها.

منطقة الدراسة

تقع المدينة القديمة جغرافياً في الجزء الجنوبي الغربي من مدينة تعز الحديثة بين خطي طول 21. َ44 و50. ْ44 شرقاً وبين درجتي عرض 13/21 ° و34. َ13 ْشمال خط الاستواء، وتنتمي طبوغرافياً إلى المنطقة الجنوبية الغربية من منطقة المرتفعات الداخلية التي تتميز بالمرتفعات العالية والوديان العميقة. ويصل ارتفاع جبل قلعة القاهرة الذي تقع المدينة على سفحه الشمالي إلى (1520م) فوق مستوى سطح البحر، وتبلغ مساحتها الإجمالية نحو (0,84كم^2) تقريباً، ويتراوح ارتفاع المدينة بين (250 – 1550م) فوق مستوى سطح البحر. وتتبع المدينة القديمة إدارياً مديرية المظفر غرب المدينة الحديثة، والتي تشكل إحدى المديريات الثلاث، التي تتكون منها مدينة تعز الحديثة (مديرية صالة شرق المدينة، ومديرية القاهرة وسط المدينة، ومديرية المظفر غرب المدينة).

شكل (1) الموقع الجغرافي للمدينة القديمة بالمقارنة بالموقع العام لمدينة تعز الحديثة.

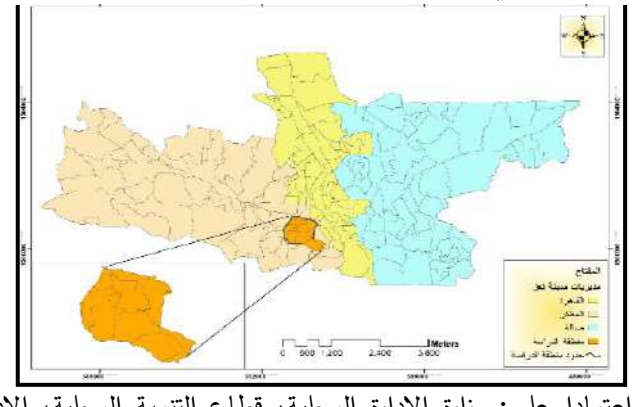

المصدر: الباحث اعتمادا على: وزارة الإدارة المحلية، قطاع التنمية المحلية، الإدارة العامة للتقييم الإداري والانتخابات، (2004م)، وحدة (GIS)، وبالاعتماد على مجموعة برامج (Arc Info 10.8).

أهمية الدراسة

تكمن **الأهمية العلمية** في تبصير متخذي القرار بالاتجاهات التي يتوجب توجيه الجهود إليها لمعالجة خلل الحفاظ والتطوير لبيئة التراث العمراني في مدينة تعز القديمة وتحقيق استدامة تراثها، والاستفادة من الإمكانات التراثية المتاحة والكامنة فيها كموارد لتنمية حضرية أكثر استدامة ويؤمن رقابة فاعلة عليها. **أما الأهمية التطبيقية النفعية** للبحث تكمن في اقتراح الآلية المناسبة للتطوير والارتقاء ببيئة المدينة القديمة ومعالمها التراثية، واقتراح طرق حمايتها من أي تخريب أو تشويه قد يؤثر على استدامة هويتها التراثية نتيجة التأثيرات السلبية لمشاريع التنمية المنفذة.

مبررات الدراسة.

1- ندرة البحوث التي تناولت تقييم وتطوير بيئة التراث العمراني بمدينة تعز القديمة حسب علم الباحث، مما يبرر مدى الحاجة لمثل هذه البحوث لملء الفراغ في أدبيات إدارة المدن التراثية.

2- تزويد الجهات المختصة بالبحوث التطبيقية والأولويات التنموية للنهوض بالتراث العمراني ومكوناته الاستثمارية وحمايته واستدامة هويته التراثية.

3- رغبة وقناعة الباحث بأهمية الحفاظ على البيئة الأثرية وبدورها التنموي إذا ما أحسن استثمارها وفقاً لمتطلبات العصر وتقنياته.

مشكلة الدراسة

تزخر مدينة تعز القديمة بمعالم التراث العمراني للحضارة الإسلامية، ولكنها تعانى في الوقت الراهن من ضغط النمو العمراني غير المتسق مع قيمة بيئتها التراثية والجمالية، ومتطلبات حمايتها بيئيًا، و تطويرها سياحيًا، الأمر الذي أوشكت فيه أن تفقد هويتها، جراء الدمار الذي لحق بتراثها، مما أدى إلى الكثير من المشاكل البيئية والعمرانية، التي تفرض بقوة؛ حماية بيئتها التراثية والحفاظ على إرثها واستدامته، وتحسين نسيجها العمراني، وربطه بالنسيج الحضري الحديث لمدينة تعز. وذلك من خلال تقييم واقع بيئتها التراثية وتحديد اهم ما تعانيه من تحديات ومشاكل وسبل معالجتها وتطوير معالم تراثها العمراني بشكل يؤمن رقابة فاعلة على هذه المواقع وبطريقة تتجنب قصور الأساليب التقليدية المستخدمة في التطوير، وتتلخص مشكلة الدراسة في السؤال التالي: (كيف يبدو الواقع الحالي لبيئة التراث العمراني بالمدينة القديمة؟ وماهي المشكلات والتحديات والمعوقات التي تواجهها؟ وما هي المعالجات المناسبة للحفاظ عليها واستثمارها سياحياً واستدامة بيئتها؟).

تساؤلات الدراسة

1- ما هي السمات المكانية التي تتميز بها المدينة القديمة بتعز؟

2- ما هي العناصر العمرانية التي يتميز بها النسيج العمراني بالمدينة القديمة؟

3- ما هو الواقع الراهن لبيئة التراث العمراني في المدينة القديمة؟ وماهي تحدياته ومعوقاته والحلول المناسبة له؟

4- ما هي الآلية المناسبة لتطوير واستثمار التراث العمراني والحفاظ عليه من التدهور والضياع في المدينة القديمة؟

5- ما هي السبل المناسبة لحماية بيئة المدينة القديمة من التأثيرات السلبية لمشاريع التنمية؟ وكيف يمكن استدامة بيئتها واستثمار معالمها التراثية؟

أهداف الدراسة

1- التعرف على السمات المكانية التي تتميز بها مدينة تعز القديمة.

2- الكشف عن العناصر العمرانية التي يتميز بها النسيج العمراني بالمدينة القديمة.
3- تشخيص وتقييم الواقع الراهن لبيئة التراث العمراني بالمدينة القديمة، وتحديد المشاكل واقتراح الحلول المناسبة لها.
4- اقتراح الآلية والاساليب المناسبة لتطوير واستثمار وحماية بيئة التراث العمراني لمدينة تعز القديمة وسبل استدامة هويتها التراثية.
5- تسهيل عمل صناع القرار في التطوير والحفاظ على الارث العمراني للمدينة واعادة احيائه.

حدود الدراسة

مكانيًا: حددت بالمدينة القديمة المعروفة (بذي عدنية)، حيث تشكل قلب مدينة تعز الحديثة، والواقعة في اقصى الجزء الجنوبي الشرقي من مديرية المظفر، إحدى مديريات مدينة تعز الحديثة.
زمانيًا: تحدد زمنيا وفقا للبيانات والمعلومات المتوافرة خلال الفترة (2015 – 2022م).
موضوعيًا: حددت بتقييم جغرافي لبيئة التراث العمراني في مدينة تعز القديمة وسبل تطويرها وحمايتها واستدامتها.

الدراسات السابقة

تستند هذه الدراسة إلى عدة دراسات عربية، نظراً لندرة الدراسات المحلية المتعلقة بهذا الجانب، على النحو الآتي:

1- دراسة زعابة، عمر (2022): هدفت إلى دراسة واقع وآفاق التنمية المستدامة للتراث المعماري في وادي مزاب من خلال تشخيص الواقع، وإيجاد آليات وطرق تحميه وتجعله من الأولويات الرئيسة في الإستراتيجيات السياسية والاقتصادية، وضمان ذلك في إطار ثقافته وتقاليده المحلية. وتوصلت إلى اقتراح خطط استراتيجية تتماشى مع التطورات، والتوجهات العالمية الحديثة، تتّفق عليها المؤسسات والعاملون والخبراء، مع ضرورة إشراك المجتمع المحلي الحاضن له (العمل التشاركي). بهدف المحافظة على هذا الإرث الحضاري وتنميته من أجل العلم، والمعرفة والسياحة، ليكون مرجعا تاريخيًا وإرثًا ثقافيًا ومورِدًا اقتصاديًا متناميًا.

2- دراسة آل سالم، مبارك سالم علي (2020): هدفت إلى دراسة الأبعاد الجغرافية لمنطقة نجران ودورها في التنمية السياحية من خلال حصر المقومات الجغرافية للمنطقة واهم الموارد السياحية والتراث الثقافي وتوزيعها الجغرافي واعتمدت المنهج التاريخي والاستدلالي لإبراز اهم المواقع التي تساهم في الجذب السياحي وتوصلت الدراسة إلى أن المنطقة تزخر بمقومات السياحة غير إن موارد التراث الثقافي في المنطقة مهمل وغير مستغل في تنمية المنطقة، واقترحت خطة لتطوير التراث الاثري في المنطقة.

3- دراسة السيد، منى، ومطلك جمال (2019): هدفت إلى دراسة اهمية استثمار التراث الثقافي في التنمية السياحية واهميتها في تنمية مدينة سامراء بالعراق مستخدمة من المنهج الوصفي التحليلي اساسا في دراستها وتوصلت الى اقتراح خطة لاستثمار تراث مدينة سامراء في التنمية السياحية.

4- دراسة أبو ليله، محمد محمد شوقي، وفوده، مهند علي (2017): وتهدف إلى دراسة المسارات التراثية السياحية كأداة لتحقيق التنمية المستدامة للمدن وإرساء أسس علميةٌ واستخلاص آليات يتم على أساسها تحقيقٌ تنميةٌ مستدامة للمدن المصريةٌ ذات المقومات التراثيةٌ في ظل ظروف تعاني منها المدن المصريةٌ السيأحيةٌ بشكل عام والمدن التراثيةٌ بشكل خاص وكذلك فتح آفاق جديدّة للسيأحة المصريةٌ من خلال تراثها القومي من خلال عمل مسارات تراثيةٌ سيأحيةٌ تشمل يوّمًا أو عدة

أيأم تحقق مردودا اقتصاديًا على كافة القطاعات داخل تلك المدن، من خلال تطبيقٌ هذه الدراسة على إحدى المدن المصريةٌ ذات التراث الحضاري والإنساني الكبيرٌ في مدن الدلتا وهي مدينٌة المنصورة، وتعتمد الدراسة في تحقيق اهدافها على عدة مناهج كالاستقرائي والوصفي التحليلي، وصولا إلى الدراسة التطبيقٌية وتنفيذٌ المسارات التراثيةٌ لمدينٌة المنصورة.

5- **دراسة الصرايره**، محمد نائف (2017): هدفت دراسة السياحة التراثية ودورها في صناعة السياحة وتفعيل عملية استقطاب السائحين إلى الأردن لمعرفة واقوع عملية استقطاب السائحين إلى الأردن متخذة السياحة التراثية ودورها في صناعة السياحة وتفعيل استقطاب السائحين إلى الأردن. وتطرقت الدراسة إلى التنمية السياحية للمواقع التراثية بكونها من أهم روافد السياحة، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها بوجود علاقة ذو دلالة إحصائية بين السياحة التراثية ودورها في صناعة السياحة وتفعيل عملية استقطاب السائحين إلى الأردن.

6- دراسة حمدان، سوسن صبيح (2015): استهدفت دراسة التحليل المكاني للمواقع الاثرية ودورها في تطوير السياحة في مدينة بغداد من حيث تحليل المواقع الاثرية والعلاقات المكانية بينها. وتوصلت الدراسة الى خطة لتطوير المواقع الاثرية سياحيا وحمايتها من التدهور والاهمال مما يعطي صورة شمولية واضحة لدى القائمين على التطوير.

7- **دراسة قسيمة**، كباشي حسن (2010): هدفت إلى دراسة التخطيط السياحي وأثره في مناطق ومواقع التراث الأثري وأهمية استغلال مواقع وموارد التراث الأثري في السياحة الثقافية وتوظيفها في صناعة السياحة من خلال تبني التخطيط السياحي الفعَّال الذي يسهم بصورة إيجابية في الاقتصاد الوطني، وتحسين المستوى المعيشي للمجتمعات المحلية.

ونظرًا لعدم وجود دراسات محلية تناولت موضوع ومنطقة الدراسة؛ فإن ذلك اوجد ثغرة بحثية قامت عليها الدراسة الحالية. وتتفق الدراسة الحالية مع اغلب أهداف الدراسات السابقة، غير أنها تختلف عنها في منطقة التطبيق بمدينة تعز القديمة، كونها تستهدف تقييم وتطوير التراث العمراني واستثماره سياحياً والحفاظ على معالمها التراثية وحمايتها بيئياً، ومدى تأثر بيئتها بالأنشطة التنموية الاخرى واقتراح خطط التطوير والحماية المستدامة لهويتها التراثية، لذا فان الدراسة الحالية تُكْمل ما بدأه الآخرون، من أجل النهوض بالتراث العمراني، وإدارته بصورة علمية مستدامة.

مناهج الدراسة واساليبها وادواتها.

1- المنهج الموضوعي الإقليمي: تم استخدامه لتوضيح التباين المكاني لمعالم التراث العمراني في المدينة القديمة، ورصد وتحديد الاختلالات التي تعاني منها وبالتالي ترتيبها وفقاً لأولويات التدخل التخطيطي فيها للوصول إلى اقتراح الحلول الملائمة لتطويرها سياحياً.

2- منهج النظام: استخدم في دراسة معالم التراث العمراني بمدينة تعز القديمة التي تتعقد فيها الظواهر والمتغيرات، وتتشابك العلاقات وتتداخل مع بعضها البعض، بطريقة يصعب معها القدرة على تشخيص هذه العلاقات ودراسة تأثيرها المتبادل، مما يعني النظر إليها كوحدة تنظيمية متكاملة، وتتضمن هذه الوحدة عناصر ذات تنوع واسع لكنها مندمجة مع بعضها البعض بشبكة من الروابط المتداخلة والعلاقات المتبادلة والحركة الدائمة.

3- المنهج التطبيقي: تم استخدمه في تحليل مواقع التراث العمراني، وإضافة حدود حماية حولها Buffer بغرض وضعها ضمن المحميات التراثية والحفاظ على ارثها التاريخي، وبما يخدم استثمار المنطقة وادارتها سياحياً.

4- المنهج الأيكولوجي: يتعرض هذا المنهج لدراسة المكون المكاني في إطار التفاعلات الطبيعية والبشرية للحفاظ على صحة وسلامة البيئة Ecotourism وصيانة مواردها والحد من التدهور البيئي Environmental Deterioration، وذلك من خلال الوقوف على التقييم البيئي عن طريق الاستغلال الأمثل للموارد المتجددة للبيئة بمنطقة الدراسة مع معالجة قضايا التلوث بأنواعه المختلفة الناجم عن الأنشطة البشرية المتنوعة في المدينة القديمة.

5- إسلوبي التمثيل الفوتوغرافي والكارتوجرافي: من خلال استخدام برامج نظم المعلومات الجغرافية ومنها، **Arc Info 10.8** (Arc Map) لإعداد الاشكال والخرائط المتنوعة التي تخدم الدراسة والتوثيق الفوتوغرافي لاهم المواقع في المدينة.

6- العمل الميداني من اهم ادوات الدراسة لجمع البيانات ميدانيًا، من خلال الاستبانة والملاحظة الميدانية واستخدام نظام تحديد الموقع العالمي GPS(Global Positioning System). لرفع احداثيات المواقع التراثية في الميدانية.

إجراءات تنفيذ الدراسة.

1-جمع وتصحيح البيانات: وتم فيها جمع البيانات عن الظاهرة ومعلوماتها الوصفية على اختلاف أنواعها، وتشمل كافة أشكال البيانات الخاصة بالمعالم الأثرية، ومن ثم إنشاء مجموعة من الخرائط الخاصة حسب متطلبات البحث.

2-الدراسة الميدانية لمنطقة الدراسة خلال الفترة (يوليو – مارس 2022م): فتم الاعتماد عليها في:

أ .جمع العينات على اختلاف أنواعها.

الخرائط على اختلاف أنواعها: General Maps. **المرئيات الفضائية**Satellite Images. **البيانات الإحصائية المنشورة وغير المنشورة. نظام تحديد الموقع العالمي** Global GPS). Positioning System)

ب .الملاحظة الميدانية المباشرة، وتسجيل النتائج.

3- وأهم الطرق التي اعتمدتها الدراسة هي تحويل البيانات من جهاز (GPS) إلى برنامج (Arc Info 10.8)

وتم التعامل كذلك مع برنامج (Universal Maps Downloader) الخاص بتحميل صورة بدقة عالية من (Server Google) لإسقاط المعالم على أماكنها الحقيقية على سطح الأرض واقتصاص منطقة الدراسة لغرض توضيح استخدامات الأرض وطرق وأماكن توزيع معالم التراث العمراني على الخريطة.

مناقشة الدراسة.

أولاً: السمات المكانية لمدينة تعز القديمة.

يُعد الموقع والموضع من أهم العوامل المؤثرة في دراسة أنشطة الإنسان وعلاقته بالبيئة، وهو المحصلة الجغرافية لشبكة متطورة أو غير متطورة من العلاقات والقيم المكانية والوضعيات الإقليمية (حمدان، 1977، 160). حيث يمكن من خلالها فهم الظواهر الجغرافية المختلفة وتأثيرها على نشاط المدينة وتفاعلاتها الداخلية والخارجية مع ما يحيط بها.

1. خصائص الموقع الجغرافي.

يمثل المكان والعلاقات المكانية البعد الأساسي لأي تنمية، وبدونه تكون التنمية عقيمة وغير متوازنة ولا تحقق أهدافها. ويتمثل في موقع منطقة الدراسة بالنسبة للأحياء المحيطة بها، حيث يحدها من الشمال شارع الجمهورية ومن الشرق حي السواني وسائلة وادي مدام، ومن الغرب حي النسيرية، ومن الجنوب نقيل الحقر والمغربة. فالموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة يتيح لها حركة تبادلية داخل أجزائها المختلفة، بحيث يمكنها من تكامل النشاط الاقتصادي فيما بين أجزاءها والمناطق المجاورة لها، مما يجعل من السهل على المخطط التنموي تدعيم وتنمية الأنشطة الاقتصادية بها، وتجعلها منطقة جذب متنوعة في مقاصدها الاقتصادية.

شكل (2) خصائص الموقع والامتداد المكاني لمدينة تعز القديمة.

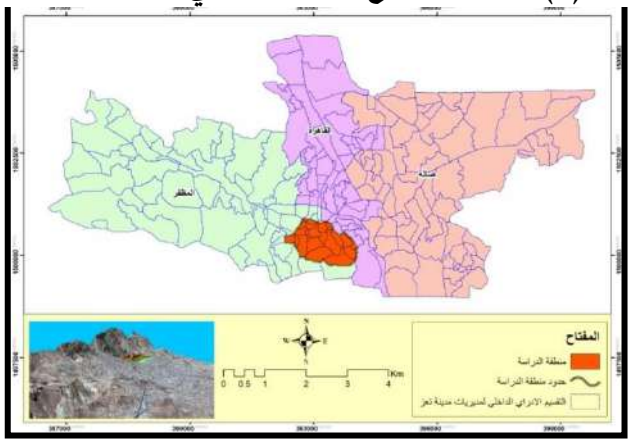

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على: وزارة الادارة المحلية، قطاع التنمية المحلية، الإدارة العامة للتقييم الإداري والانتخابات، (2004م)، وحدة GIS، وبالاعتماد على مجموعة برامج ArcInfo 10.8.

ومن أهم الخصائص التي استحوذت على أهمية بارزة في خريطة المدينة القديمة، هي:-

- **سوق الشنيني** في الطرف الشمالي للمدينة، والذي يعد بمثابة الوسط التاريخي والتجاري للمدينة القديمة، ويمتد من باب الكبير شرقًا وحتى باب موسى غربًا، ويقع بمحاذاة شارع الجمهورية التجاري، ومن هذا الطريق يتفرع الطريق الرئيسي الذي يربط المدينة القديمة بغيرها من أحياء مدينة تعز.
- **قلعة القاهرة** في الطرف الجنوبي للمدينة، حيث تعطي أبعاد اقتصادية وتاريخية مهمة للمدينة القديمة.
- **المسجد الجامع** في وسط المدينة والمعروف بجامع المظفر، والذي يعد بمثابة قلب المدينة.
- **ويبدو** ان مدينة تعز القديمة كغيرها من المدن العربية الإسلامية التي ظهرت في العصر الوسيط، قد روعي في اختيار موقعها تلك المعايير الأساسية لاختطاط موقع المدن في ذلك التاريخ، وهي: مياه الشرب، والارض الخصبة للزراعة، والمراعي والحصانة (المقطري، والعشاوي، 2009). وقد حافظت المدينة على هذا الامتداد لمخططها حتى عهد الأئمة تقريبًا، باستثناء التمدد البسيط الذي تم خارج سور المدينة في اتجاه الشمال، بين شارع 26 سبتمبر وشارع جمال، نهاية عصر الأئمة في بداية ستينيات القرن العشرين، اذ تمثل المركز التاريخي والتجاري والسياحي لمدينة تعز الحديثة، لذا اكتسبت أهمية خاصة في الفترات التي شهدت فيها تعز انتعاشاً اقتصادياً وسياسيًا وثقافيًا.

2. سمات موضع المدينة القديمة وامتدادها الحضري.

يتصف الامتداد المكاني للمخطط الحضري للمدينة القديمة بمحدوديته المساحية، حيث ينحصر بين سائلتي وادي صينا ووادي المدام، ونظرا لوقوع المدينة على سفح جبل صبر، فان موضعها يتميز بطبوغرافية فريدة، حيث تستقر على سفح من المراوح والإرسابات الفيضية، التي نقلتها التيارات المائية من منحدرات جبل صبر وتلة القلعة، شكل (3). كما يغلب على تكوينها؛ الرمل والحصى والكونجلوميرات، ويعلو هذا السفح تلة الحصن البركانية، وتلة النسيرية المقابلة لها التي تمثل امتداد لسفوح جبل صبر، والمكونة من صخور البازلت، ويفصل بينهما مجرى مائي صغير يمر داخل المدينة القديمة، ويعبر من باب الشنيني ليلتقي بوادي المدام عند المنطقة المعروفة (بفرزة ديلوكس).

ويتضح من تحليل السمات الموضعية للامتداد الحضري للمدينة القديمة وتكوينها المورفولوجي والجيولوجي، أن اختيار مدينة تعز القديمة في هذا الموضع كان اختيارا مقصودًا، ولم يكن عشوائيًا، لكي تكون محمية بتلتيّ القلعة والنسيرية، وبسور المدينة فيشكلوا مجتمعين حاجزًا فاصلاً، يحمي المدينة من أي مخاطر بيئية تنتج عن انهيارات أرضية، أو انهيارات صخرية، أو فيضانات من جبل صبر، باستثناء السيول القادمة عبر مجرى الوادي الصغير، الذي يفصل بين التلتين، والذي يسهل استغلال مياهه كمصدر مائي إضافي لتزويد المدينة بالمياه، إلى جانب المياه المنقولة للمدينة عبر السواقي القادمة من جبل صبر (المقطري، والعشاوي، 2009، 30).

شكل (3) سمات الموضع ومعالمه الاثرية في المدينة القديمة

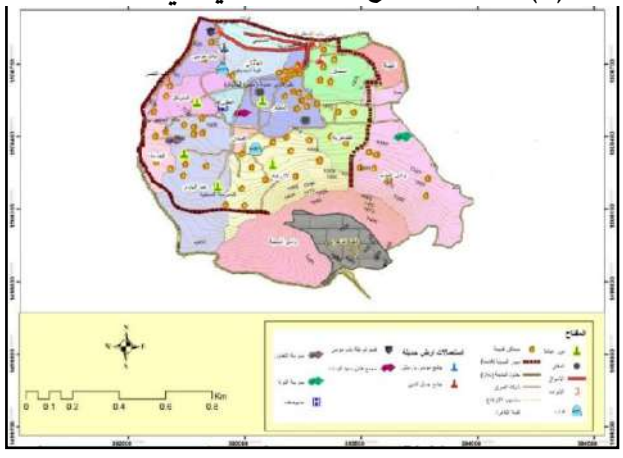

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على نتائج المسح الميداني وبرنامج Arc Info 10.8.

وبهذا تمثل منطقة الدراسة، مركزًا تجاريًا مهمًا، تلتقي عندها وتتفرع منها طرق النقل، حيث تم ربط المدينة القديمة مع بقية أحياء مدينة تعز بطرق معبدة وحديثة، تسهل عملية النقل للركاب والبضائع، كما تم ربط اغلب أحياء المدينة القديمة، بطرقات مرصوفة بالحجارة، كجزء من مشروع حماية مدينة تعز من كوارث السيول، وترميم وصيانة عدد من معالمها التاريخية، الأمر الذي اكسبها أهميتها الاقتصادية بالنسبة لبقية مدن المحافظة.

3- الخصائص العامة للتركيب الداخلي للمدينة القديمة:

يتطلب تنفيذ عملية التطوير للمدينة القديمة الأخذ بعين الاعتبار الجوانب المتعددة للمدينة الداخلية منها والخارجية، والذي يسمح بفهم وتوضيح هذه الظاهرة، بالإضافة إلى معرفة العناصر الفاعلة في المدينة وإطارها الحضري، من خلال تطوير وتسيير وسائل الإنتاج، والتدخل على الأنسجة لمدينة تعز القديمة، على النحو الآتي:

أ- التقسيم الإداري للمدينة:

تتصف طبوغرافية المدينة القديمة، بأنها معقدة التضاريس وغير مستوية، ويغلب عليها الانحدارات والارتفاعات، إذ يصل الانحدار في أماكن كثيرة منها إلى أكثر من (90%)، نتيجة لوقوع المدينة على سفح جبل قلعة القاهرة، مما انعكس ذلك على مخطط المدينة الذي يتماشى تلقائيًا مع خطوط الكنتور، ويتلاءم بشكل واضح مع طبوغرافية الموقع، وترتفع المدينة بشكل عام عن مستوى سطح البحر نحو(500م) إلا أن هذا الارتفاع لا يشمل جميع حاراتها، فيرتفع الجزء الشمالي منها إلى نحو(1200م)، أما حارة المغربة وجزء من حارة الاشرفية فتقع على ارتفاع(1400م) (الرهمي، 1992، 40). بالإضافة إلى اختلاف ارتفاع بقية حارات المدينة، فطبوغرافية سطح المدينة ليست مستوية تماماً، إذ يصل الفرق بين أعلى ارتفاع واقل ارتفاع إلى نحو (250م)، مما جعل هذه الظاهرة تؤثر على نظام العمران والطرق في المدينة، فتظهر الشوارع القصيرة والضيقة والمقطوعة، كما تقطع المدينة العديد من الأودية التي تتجه من الجنوب نحو الشمال بانحدار شديد، ومن أهم هذه الأودية وادي تعز (باب النصر) ووادي المدام، **شكل (4)**.

شكل (4) التقسيم الاداري لمدينة تعز القديمة.

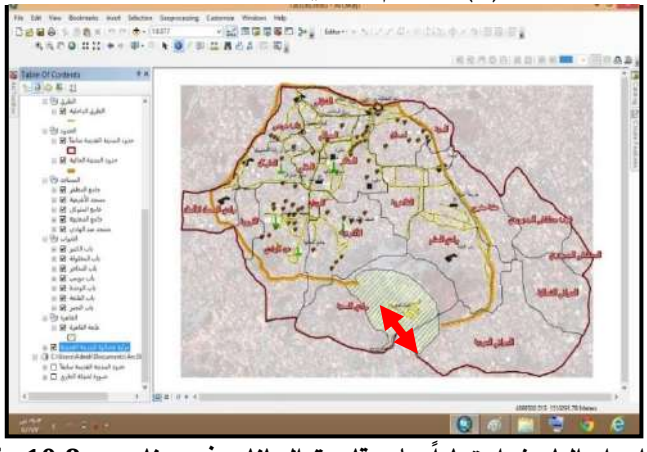

المصدر: إعداد الباحث اعتماداً على قاعدة البيانات في برنامج ArcInfo 10.8

وقد كانت المدينة في تلك الفترة، تتكون من عدة حارات سكنية، تتصف بحدودها المتداخلة مع بعضها البعض، وتفتقر الى الخدمات العامة، باستثناء الجامع والساحة، على عكس مخططات مدينة صنعاء القديمة (المذحجي، 2004، 34). ولم يتم تقسيم المدينة إلى أحياء سكنية، نظرًا لصغر مساحتها، ومن أهم تلك الاحياء السكنية: احياء (المحاريب، والحدبة، والمداجر، والرشيدية، وناحية الواسطة، والمعتبية، والمظفر، والأشرفية، والظاهرية، والدرج والسراجية، والضباط، والدور جوار باب الكبير، والمشهد، والمتوكل).

ب- استعمالات الأراضي في المدينة القديمة.

شهدت مدينة تعز الحديثة تحولا جذريا من واقعها التقليدي الى واقع جديد يتسم بالحداثة والتجديد أثر على الهوية المعمارية للمدينة. بينما ظلت المدينة القديمة بها طيلة مراحلها التاريخية محافظة على أدوارها الوظيفية، حيث تركزت الوظائف الرئيسية للمدينة حول إدارة الشئون السياسية، والوظائف الخدمية الأساسية للمجتمع كالتعليم والقضاء والأمن، والإرشاد الديني، بالإضافة إلى المهن الخدمية والتجارية، والمهن الحرفية المرتبطة بالصناعات التقليدية التي تتعلق في مجملها بتلبية احتياجات المدينة بكل تكويناتها. بالإضافة إلى تأمين احتياجات المحيط الريفي للمدينة ومتطلبات أسواقه الأسبوعية من السلع والبضائع غير الزراعية، والذي يعد بدوره ظهيراً مكملاً للمدينة؛ باعتباره يمثل مصدرا للغذاء وللأشجار المستخدمة كوقود. أما بالنسبة لما كان موجود من تجمعات سكنية خارج المخطط الحضري للمدينة القديمة، مثل: (الجحملية، وثعبات، وصاله، وعصيفرة، وصينة، والجند). فقد كانت ضمن النطاق الريفي الذي يضم بعض القصور التي تستخدم كمصايف ومنتجعات لقضاء فترات الراحة والاستجمام للأمراء والملوك (المقطري، والعشاوي، 2009، 35).

وتبلغ مساحة المدينة القديمة (46,0) هكتارًا، فيما بلغ عدد سكانها (20,105 نسمة)، وتبلغ الكثافة السكانية فيها نحو (437 شخصاً/هكتار) (نتائج الدراسة الميدانية 2022م). ويوضح الجدول (1)، والشكل (5)، استعمالات الأراضي في مدينة تعز القديمة، حيث يتضح الاتزان في استعمالات الأراضي في المدينة، رغم الطبوغرافية المعقدة للأرض فيها.

وشكل موقع المدينة القديمة في وسط تعز نقطة قوة مهمة بالنسبة لها، مما جعلها نقطة جذب سكاني وتجاري وسياحي، فالمدينة القديمة تمثل بؤرة النشاط التجاري على مدى العصور، وقد أنشئت فيها السماسر والأسواق التقليدية، ومنها سوق الشنيني، وحافظت المدينة القديمة على ميزتها التجارية في العصور الحديثة على الرغم من تأثرها بأشكال النشاطات الاقتصادية المتوفرة خارج حدودها، إلا أن أسواقها التقليدية وفرت نوعا من التكامل بينها وبين الأسواق الحديثة خارجها، واستمر دورها المركزي في حياة تعز التجارية والاجتماعية والسياحية بسبب موقعها الاستراتيجي والبعد التراثي والتاريخي الذي تعكسه أجواؤها، مما يمكن من تسويق المنطقة داخليا وخارجيا لعدة أغراض سياحية منها: (الدينية، والتراثية، والبيئية، والترفيهية). إضافة لإمكانية تطوير نوعية الخدمات الترفيهية مثل الاستراحات والمتنزهات ومدن الألعاب، مما يعمّق ارتباط السكان بهويتهم، كما أن الأسواق التقليدية تجذب الزوار والمتسوقين من خارج المدينة؛ ويمكن لهذه الاسواق والنشاطات التقليدية الأخرى أن تجذب حركة سياحية قوية، وأن تخلق فرصاً للاستثمار.

وتعد المميزات التاريخية والعمرانية والوجدانية لمدينة تعز القديمة؛ مصادر جذب للاستثمار والسياحة يمكنها المساهمة بشكل كبير في تطوير القطاع الاقتصادي في المدينة بشكل خاص وفي تعز الحديثة بشكل عام. كما يمكن الاستفادة من ربط المواقع التاريخية المهمة في المدينة القديمة وبمدينة تعز الحديثة، للتركيز على اجتذاب السياحة وبناء خدمات لهذا القطاع التي ستساهم في توفير الدخل وخلق فرص العمل وتشجيع القطاع الخاص للاستفادة منه.

الجدول (1) استعمالات الأراضي في المدينة القديمة بتعز.

الاستعمال	المساحة / هكتار	النسبة%
السكني	18.4	40
السكني التجاري (مختلط)	3.68	8
الاسواق	4.14	9
مبان خدمية	1.47	3.2
ابنية دينية + مقابر	4.32	14
الطرق والساحات	6.44	14
المناطق الخضراء والترفيهية	1.84	4
المناطق الخاليه (مناطق وعرة)	5.34	11.6
استعمالات اخرى	0.37	0.8
المجموع	46	100

المصدر: الباحث اعتماد على: (المذحجي: 2010) ونتائج الدراسة الميدانية 2022م.

شكل (5) استعمالات الأراضي في المدينة القديمة

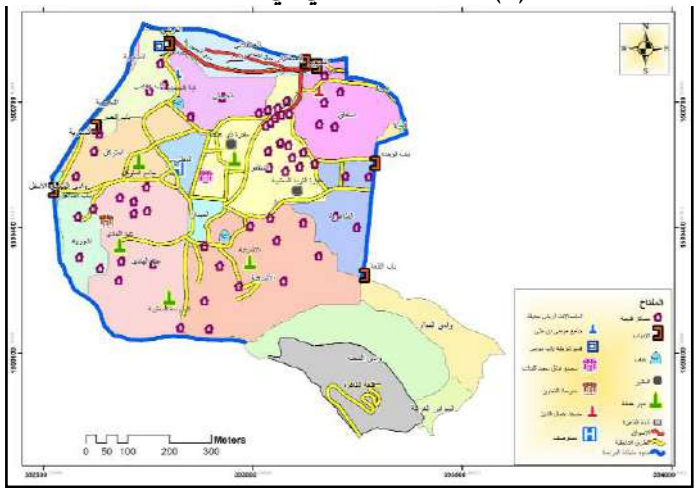

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على نتائج المسح الميداني وبرنامج Arc Info 10.8.

4- خدمات البنية التحتية في المدينة القديمة:

من خلال التقييم الميداني للأوضاع الخدمية العامة في المدينة القديمة، توصلت الدراسة الى الحقائق الاتية (نتائج الدراسة الميدانية مارس 2022م):

- **خدمات المياه:** تبين أن نسبة كبيرة من اسر المدينة القديمة تصل إلى (94,7%) يعتبرون خدمات شبكة المياه الحكومية التي تزود مساكنهم غير مقبولة، بينما رآى نحو 5,3% أن الخدمة سيئة، وقد أظهرت النتائج أن خدمات شبكة المياه الحكومية غير متوفرة لدى اغلب السكان، نتيجة انقطاع تزويدهم بها بسب الاضرار الكبيرة التي تعرضت لها شبكة امداد المياه نتيجة الحرب اليمنية خلال (2015 – 2020م)، مما يضطر السكان لشراء الماء عبر (الوايتات الخاصة)، وكذلك شراء مياه الشرب المعالج المعروف محليا بمياه الكوثر.

- **خدمات شبكة الصرف الصحي:** رأى (60,2%) من اسر العينة أن خدمات الصرف الصحي مقبولة في مساكنهم، فيما وجدها نحو (25%) بانها غير مقبولة، فيما اعتبرها نحو (14,8%) بانها سيئة. حيث تعد شبكة الصرف الصحي متهالكة وغالبا ما تشهد طفح (المجاري) في مختلف الاحياء وعدم قيام المؤسسة المحلية للمياه والصرف الصحي بإصلاحها، نظرا لعدم توفر الامكانات المادية

والتقنية، والكوادر البشرية والذين نزحوا خارج مدينة تعز بسبب الحرب الدائرة في اليمن، مما أثر على خدمة الصرف الصحي في المدينة القديمة.

- **خدمات شبكة الكهرباء:** ظهر من خلال المسح أن معظم الاسر (100,0%) في المدينة يفتقدون إلى هذه الخدمة الحكومية نتيجة انقطاعها بسبب الحرب التي دمرت شبكة الكهرباء العمومية، واغلب الاسر في المدينة القديمة (80,2%) يعتمدون على الطاقة الشمسية كمصدر للكهرباء، بينما (9,8%) من الاسر تعتمد على الكهرباء بواسطة المولدات الكهربائية. فيما يعتمد نحو (10%) من اسر منطقة الدراسة على الكهرباء الخاصة عبر الشركات التجارية مدفوعة الثمن.

- **خدمات النظافة:** أظهرت الدراسة أن خدمات جمع النفايات غير مقبولة لدى 93% من اجمالي عينة الدراسة، وهي في المقابل مقبولة لدى (7%) من العينة. حيث تتكدس النفايات في الاحياء والشوارع لعدم رفعها وترحيلها بشكل يومي، مما يؤدي الى التخلص العشوائي منها؛ اما بإحراقها او رميها في مجرى سيول الامطار، او تكدسها في ارصفة الشوارع، او في المواقع المهجورة، الامر الذي تسبب في انتشار التلوث والروائح الكريهة وتفشي الامراض والاوبئة –(حمى الضنك، حمى المكرفس، الكوليرا)– التي اودت بحياة عدد من سكان المدينة القديمة خلال الاعوام (2018–2021م).

- تظهر النتائج بشكل عام أن الخدمات الاساسية في مستوى سيئ لدى اغلب الاسر في المدينة القديمة، ويظهر أيضاً انعدام تام لخدمات شبكة الكهرباء والمياه العامة. بينما يظهر أن خدمات النفايات والصرف الصحي هي الأسواء والذي ادى بدوره إلى انخفاض مستوى النظافة ومستوى الوضع الصحي العام في مدينة تعز القديمة.

ثانياً: الخصائص والعناصر العمرانية العامة للمدينة القديمة:

1- الخصائص المورفولوجية لمدينة تعز القديمة خلال مراحل تطورها.

يقصد بمورفولوجية المدينة المظهر العام للمدينة، حيث يتغير شكلها من فترة إلى أخرى عبر تاريخها الطويل، ولا تأخذ مظهرها النهائي ما لم تمر بمراحل مورفولوجية متعددة، حيث يكون لكل مرحلة خصائص تتميز بها عن غيرها من المراحل. وتمثل هذه النماذج المعمارية؛ الموروث الثقافي والحضاري المعبر عن ثقافة سكان المدينة في فترة معينة مع الأخذ بالاعتبار الشكل الثابت للمدينة والذي يعتمد على الشكل الطبيعي للأرض والذي بناءً عليه يتحدد الشكل العام للمدينة (دائري، خطي.. إلخ)، بحيث تعطي مظهرا متميزا للمدينة في تلك الفترة والذي يكون ناتجا عن تفاعل عدة عناصر. على النحو الآتي:

ويرتبط ظهور مدينة تعز بمجيء توران شاه الأيوبي إلى اليمن عام (569/هـ)، حيث ظلت أحد مراكز بني أيوب الرئيسة وازدادت شهرتها في عصرهم (المجاهد، 1997، 20). غير أن المسوح الأثرية وما تم العثور عليه من لقي أثرية في قلعة القاهرة تؤكد أن مدينة تعز كانت موجودة قبل ذلك التاريخ. وينسب **للعصر** الأيوبي أول ظهور لتأسيس المدارس الإسلامية في اليمن، حيث تأخذ صفة المدرسة المصلى وقاعة الدرس والمسكن وقاعة للضريح. ويعد السلطان المعز بن طغتكين أول من بدأ في إنشاء المدارس. مثل المدرسة السيفية. وتقع في مغربة تعز قرب جامع المغربة' كانت تحوي على قاعات للسكن وبيت للصلاة، وقاعة لدفن السلطان طغتكين (السروري، 2009، 12). فيما بنى الأتابك سيف الدين سنقر الذي حكم اليمن (598– 608هـ) مدرسة في ذي هزيم في الجنوب الغربي من تعز سميت بالمدرسة الأتابكية نسبة إليه ودفن فيها. وانشاء جمال الدين ياقوت الجمالي الذي كان

والياً على حصن تعز في عهد السلطان طغتكين بن أيوب مدرسة في مغربة تعز سميت بالمدرسة الأشرفية نسبة إلى مدرسها أبي العباس أحمد الأشرفي، كما بني القبة الجمالية (الاكوع، 1986، 18). ويعد السلطان سيف الإسلام طغتكين هو أول من عمل على بناء حصن تعز وتسويره (الجندي، 1989، 529). وشيد القصور، وشجع على انتشار العمران بمختلف أرجائها.

ويرجع تطور المدينة إلى بداية مطلع الثلث الثاني للقرن الثالث عشر الميلادي، السابع الهجري، عندما أصبحت عاصمة لدولة بني رسول الذي امتد لأكثر من قرنين وربع القرن (626-858هـ/ 1229-1454م)، والتي حكمت كل اليمن، وامتدت حدودها إلى مكة وعمان. وفي ظلها عرفت تعز فترة ازدهار حضاري وعلمي وأدبي ومعماري غير مسبوق، ووصفها ابن بطوطة أثناء زيارته لها في عهد الملك الرسولى المجاهد على بن داود (721- 764 هجرية) "بأنها من أحسن مدن اليمن وأعظمها" (ابن بطوطة، 2002، 157). حيث شهدت مدينة تعز في عهد الدولة الرسولية توسعات عمرانية وثقافية واسعة بنيت خلالها المساجد ودور الضيافة والأسواق الكبيرة المزدحمة بروادها ونشاطاتهم المتنوعة. **حيث تم** نقل الدواوين الملكية من الجند الى تعز القديمة، وقسمت المدينة إلى ثلاثة أحياء رئيسة، هي: ذي عدينة في وسط المدينة، والمحاريب في شرق المدينة، والواسطة والتي صارت تسمى المعتبية في الجنوب الغربي للمدينة، كذلك قسمت المدينة القديمة إلى عدة حارات، مثل: الرشيدية؛ المعتبية والسراجية؛ المظفرية والأشرفية؛ والظاهرية. (السروري، 2009، 11). وتم بناء أول مسجد جامع في تعز، ونظراً لكبر هذا الجامع فقد أطلق عليه جامع ذي عدينه، ثم سمي واشتهر بجامع المظفر، وبناء المدارس في مختلف احياء مدينة تعز، وهذه المدارس مرتبة كما يلي: المدرسة (المنصورية ثم المظفرية، ثم المؤيدية، ثم المجاهدية ثم الأفضلية، ثم الأشرفية، ثم الظاهرية) (الاكوع، 1986، 111).

وبدت مدينة تعز للرحالة الأوربي الأول لليمن (لودفيكو دي فارتيما) (1508م) بأنها مدينة قديمة جدًا، بمسجدها الذي يذكره بكنيسة السيدة مريم المستديرة في روما وقصورها، وقال إنهم يصنعون فيها كميات وفيرة من ماء الورد (فارع، 2005، 22). كما وصف الكابتن الهولندي (بيتر فان دن بروكه) تعز (1618م) بأنه رأى فيها سته أبراج شاهقة ومساجد عديدة ووجد أنها مركز تجاري مهم. (قلعجي، 2005، **66**). وقد وصف الرحالة (كريستيان نيبور) أثناء رحلته التي قام بها ضمن البعثة الدنماركية (1763م) مدينة تعز بشكل مفصل من حيث موقعها عند أقدام جبل صبر، مشيراً إلى سورها وأبراجه وأبواب المدينة وحصن القاهرة، وقد ضمن نيبور كتابه رسماً توضيحياً للمدينة بين فيها مواقع معالمها الرئيسية (الصايدى، 1990، **29**).

المصدر: فهد الظرافي تعز 2021.

صورة (1) منارة جامع الظاهرية تصوير "هيرمان" (1901م).

صورة (2) رسمة بريشة الرحالة الالماني" كريستيان نيبور" (1765م).

وتدهورت المدينة بعد انتهاء الدولة الرسولية، ولم يستقر دورها نظرا للاضطرابات المتواصلة التي عانت منها حين استولى عليها عام 1516م، القائد المملوكي بروسباى ومعه جيش مكون من الجراكسه والأتراك والمغاربة ومن جنود الأمام شرف الدين ومن جنود أمير جيزان حين اتجه إلى مدينة تعز التي كان عامر بن عبدالوهاب قد أنسحب منها بدون قتال ودخلوها في عام (923هـ)، وخلال عهد الجراكسه الذي كان صراعاً فيما بينهم حتى انتهى بتولي أسكندر موز، الذي جهز حملة لإخضاع منافسيه وطردهم من مدينة تعز فألحقت بها أضراراً كبيرة (فارع، 2005).

واستولى عليها أويس باشا للأتراك في عام (953هـ– 1545م)، ومازالت المدينة تعاني بسبب الأحداث المدمرة التي مرت بها في عهد الأئمة الذين جاؤوا بعد الأتراك عام 1635م في زمن الأمام شرف الدين وابنه المطهر، حيث شهدت حرباً عانت خلالها اليمن عموماً ومدينة تعز خاصة الدمار والخراب، ولم تحسم هذه الحرب إلا بعد وفاة المنصور وذلك على يد ابنه الإمام المهدي عباس (ت 1189هـ –1775م)، ثم توالت احزانها على يد عامل المنصور عبد الله الضلعي (الصفواني، 2004، 30). ثم تواصل تدهورها حين انتزعها المصريون بقيادة إبراهيم باشا يكن قائد قوات محمد علي في تهامة اليمن في (ربيع الأول 1253هـ – يونيه 1837م)، الأمر الذي جعل السكان يهجرون المدينة، وكانت مدينة تعز في تلك الأثناء شبه مدمره (الصايدي، 1992، 110). وقد استمر وجود قوات محمد علي في المدينة حتى انسحابها في يوليه 1840م، ولما عاود الأتراك غزو اليمن سقطت تعز في أيديهم في 28 أكتوبر 1871م حتى عام 1918م (فارع، 2005). كل ذلك عكس نفسه على أهمية مدينة تعز التي تحولت إلى مركز إقليمي خلال كامل تلك الفترة.

وشهدت المدينة ازدهاراً نسبياً خلال حكم المملكة اليمنية المتوكلية (دولة الائمة الزيديين)، نتيجة لانتعاش تجارة البن التي بلغت ذروتها من خلال ميناء المخا الذي اتصف بانه بوابة مدينة تعز، وقد عزز انتعاش المدينة نشاط مدينة عدن التي كانت ميناء الدخول الرئيسي لمعاملات اليمن الاقتصادية. وحين عين الأمير سيف الإسلام أحمد بن الأمام يحيي حاكماً على تعز عام (1938م)، وأصبحت مدينة تعز في الفترة الأولى من سنوات ولايته مركز أ لحركة المعارضة، وحينما نقل الإمام أحمد بن يحي حميد الدين العاصمة من صنعاء إلى تعز بعد اغتيال والده في عام 1948م (بن دغر، 2005، 96). استمر هذا الدور الهام حتى قيام ثورة 26سبتمبر 1962م واعلان قيام الجمهورية، ومنذ ذلك الوقت وحتى الوقت الراهن شهدت المدينة نهضة عمرانية كبيرة **استمرت** الى عام 2016م ومنذ هذا التاريخ الى اليوم شهدت مدينة تعز القديمة تدهورًا واضحًا في معالمها الاثرية

نتيجة الحرب اليمنية وحصار مدينة تعز من قبل حكومة الانقلاب في صنعاء فتأثرت كثير من معالمها للقصف العسكري العشوائي على تعز ومازالت اثار هذا الدمار ماثلة للعيان ومستمرة.

وأبرزت الدراسة الميدانية؛ تميز المدينة القديمة بتوافر الكثير من المفردات والعناصر والخصائص العمرانية القديمة ذات القيمة التراثية والتي كانت نتاج لمختلف المراحل الزمنية التي مرت بها مدينة تعز منذ نشأتها الي الوقت الحالي (الدراسة الميدانية مارس 2022م) **أهمها:**

– تغير المظهر العام للمدينة القديمة من فترة إلى أخرى عبر تاريخها الطويل، ولم تأخذ مظهرها النهائي الا بعد ان مرت بمراحل زمنية متعددة، حيث لكل مرحلة خصائص عمرانية تتميز بها عن غيرها من المراحل (المذحجي، 2008، 77). وتمثل النماذج والاشكال والمخططات المعمارية الموروث الثقافي والحضاري المعبر عن ثقافة سكان المدينة.

– يتحدد الشكل العام للمدينة بالشكل القريب من الشكل (الدائري) بحيث اعطى مظهرا متميزا للمدينة.

– تماشي المدينة القديمة في الأساس لنمو وتطور المدينة الإسلامية والحديثة حتى منتصف القرن العشرين، من حيث التكوين ومحاور الحركة والتراص والتخطيط والتحصين، وقرب المسجد الجامع وبعده، ومحوريته، والبوابة الرئيسة، والسوق، والتفاف المباني السكنية.

– أهم ما يميز التخطيط الداخلي لتعز القديمة هو تداخل مكوناتها، وانسجام عناصرها التي تعبر عن إيقاعية لا تخرج عن كونها وحدة متكاملة تشكلها مبانيها بارتفاعاتها المختلفة التي تعطيها شكلها المميز وظيفياً وبصرياً وجمالياً. حيث تنتقل عين الزائر حولها عبر ممراتها الضيقة المتعرجة ونوافذها وشوارعها، تتخلها بوابات تاريخية، وتتقاطع معها المآذن. لتضيف المزيد من الإبداع للتخطيط الفريد.

– البعد الوجداني ويتمثل في الإحساس بالراحة والأمان والارتباط العاطفي، حيث يشعر الكثيرون من سكان المدينة القديمة وزوّارها بالانتماء والارتباط تجاهها وتجاه ما تحتويه من عناصر وأنشطة، وكذلك يشعر الزائر فيها بشيء من الراحة والأمان والحنين إلى الماضي.

2– عناصر النسيج العمراني للمدينة القديمة في المرحلة الراهنة:

يتكون النسيج العمراني للمدينة من عدة عناصر، أهمها:

– **السور والأبواب:** مثل دورًا مزدوجًا في تهيئة المجال الحضري، فإلى جانب دوره الدفاعي العسكري فقد أدى عبر تاريخ المدينة أدوارًا أخرى في حماية المدينة من الفيضانات والمخاطر البيئية الأخرى (المقطري، والعشاوى، 2009، 33). ولم يتبقى منه إلا بعض الأجزاء فى الناحية الغربية والجنوبية للمدينة القديمة، وكان للمدينة القديمة تسعة أبواب اندثرت منه أربعة ابواب وهى: (باب الوحدة، باب المخلولة، باب الشهابية، باب سائلة عبدالكريم وهناك خمسة أبواب مازالت موجوده وهي: (باب القلعة، الباب الكبير، باب موسى، باب المداجر، باب النصر تحت ثكنة السراجية).

– **المساجد:** اتخذت المدن الإسلامية المستحدثة من المسجد الجامع المحور الأساسي لتخطيطها، أي أن الجامع يقع في الوسط على تقاطع المحورين الرئيسين، كبغداد الدائرية والقاهرة الفاطمية والقيروان (الكبسي، 2009). بينما في المدينة القديمة وجد في أطراف المدينة قرب السور وعلى المحور الأساس، وهذا يؤكد استمرارية الكثير من أسس عناصر التخطيط المعماري للمدينة القديمة بيئيًا وعمرانيًا.

– **المدارس الدينية:** المدرسة السيفية والمدرسة الأتابكية في عصر الدولة الأيوبية، ومدارس المنصورية ثم المظفرية، ثم المؤيدية، ثم المجاهدية ثم الأفضلية، ثم الأشرفية، ثم الظاهرية في عصر الدولة الرسولية (النجار، 2005).

– **الحصون ودور الضيافة:** يعد حصن تعز (قلعة القاهرة) من أهم قصور الحكم في المدينة القديمة، ودار المضيف من أهم دور الضيافة في عصر الدولة الأيوبية والرسولية.

– **الشوارع:** تعد الشوارع والطرقات من أهم المكونات الرئيسة لتخطيط مدينة تعز القديمة، حيث تميزت بوجود أكثر من شارع رئيس (محوري) طولي وعرضي، يبدأ من المدخل الرئيس، وينتهي بنهاية المدينة أو عند المدخل المقابل (السروري، 2009، 23). وتصب هذه الشوارع في ساحة يقام فيها السوق الرئيس، وغالباً هذه الشوارع مبلطة بالأحجار. وتتقاطع مع الشوارع الرئيس بحارات يتم الوصول إليها عبر شبكة من الأزقة الضيقة.

– **الحارات السكنية:** تشكل أحياء المدينة المختلفة، حيث يتميز كل حي فيها بخصائص معينة تختلف عن غيره من الأحياء، حيث كانت أحياء المغربة، وذي عدينة، والمحاريب، من أهم المناطق المزدحمة بالمباني والسكان في مدينة تعز القديمة. وما يوضح ذلك في بداية عهد السلطان المؤيد كان في احياء المغربة وعدينة الكثير من المساكن، بالإضافة إلى ذلك نستدل على منازل مدينة تعز من خلال عدد الحارات التي كانت موجودة فيها ضمن الشوارع وهي: المعتبية، والمداجر، والسراجية، والمظفر، والأشرفية، والظاهرية، والدرج، والدور، والمحارب، والحدبة (السروري، 2009، 22).

– **الميادين** (الساحات) **والفضاءات العامة:** تشكل الساحات الرئيسة الأسواق التجارية للمدن، حيث تشكل الميادين متطلبات ضرورية لتخطيط المدن، وهي إحدى المنشآت أو المرافق العامة، ولها استخدامات متعددة، ومن أهم تلك الميادين ما يعرف بحارة الميدان (بامخرمة، 1987، 148).

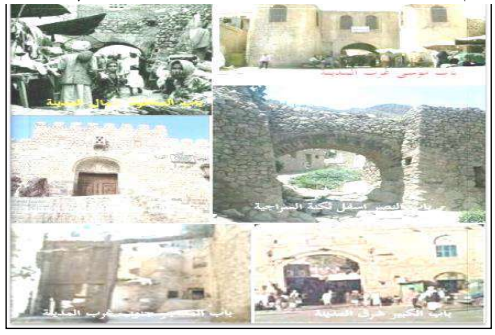

صورة (3) لاهم معالم التراث العمراني السياحي في مدينة تعز القديمة

– **الأسواق والمحلات التجارية:** ومن أهم أنواع الأسواق فيها، هي: الأسواق اليومية والأسبوعية والموسمية والمتخصصة، والواقعة ما بين باب الكبير شرقاً وباب موسى غرباً، والمعروف بسوق الشنيني بفروعه الثلاثة (سوق الطعام وسوق الملابس وسوق عام لجميع المنتجات)، وتتخلل هذه الأسواق المحلات التجارية (الدكاكين) التي تعد من السمات الرئيسة للتخطيط العمراني لمدينة تعز القديمة، حيث يوجد في سوق عدينة (الشنيني) دكاكين من الجانبين ملكاً للتجار بينهما شارع متسع يسمح بتحرك الناس للبيع والشراء. وهي عادة الأسواق آنذاك (السروري، 2009، 17).

– **البساتين (حوائط وحويات):** يجاور بعض منازل المدينة القديمة ومدارسها ومساجدها حوائط وحويات. كما يجاور بعض المنازل أو المدارس في مدينة تعز قطع أرض لزراعة الحبوب أو الفاكهة منها (الحول او البستان) المعروف بعقمة مرجان والذي يقع غرب المعصرة، وحول المناييس الواقع جنوب المجزرة، وهما يقعان قريباً من المدرسة الظاهرية. (الحميري، 1980، 66).

– **المقابر:** تنقسم مقابر المدينة القديمة إلى **المقابر العامة:** وهي مخصصة لدفن من مات من سكان مدينة تعز ومن الوافدين إليها، وتنتشر هذه المقابر في أنحاء مدينة تعز وضواحيها من ذلك: مقبرة الأجيناد (الاجينات) وتقع خارج سور تعز في الناحية الغربية منها، وكذلك مقبرة التربة المعتبية في عدينه تعز (البريهي، 1983، 212). **والمقابر الملكية:** وتمثلها مقبرة ذي عدينة، وتسمى (تربة الملوك بعدينة وهي المقبرة الملاصقة لجامع المظفر من الناحية القبلية) ولم يكن يدفن فيها إلاّ خواص بني رسول من القرابة والسراري والأولاد الصغار وقد خصصت لهذه المقبرة أوقاف خاصة بها (الجندي، 1989، 147). **ومقابر المدارس:** وهي مدافن أو مقابر خاصة لمن بنى هذه المدارس، من سلاطين بني رسول ونسائهم وأمهاتهم ومن الأمراء والقادة والعلماء. وغالباً ما كان يتم الدفن في هذه المدارس في قاعات مخصصة للدفن في مؤخرة المدرسة أو في أحد جوانبها، وذلك بحسب طبيعة المنطقة التي بنيت فيها المدرسة (بامخرمة، 1987، 189). والهدف من وجود هذه المقابر أو المدافن داخل المدارس هي استمرار قراءة القرآن على صاحب المدرسة الذي دفن بها، نظرا لأنه صاحب الخير في بناء هذه المدرسة (الاكوع، 1986، 134) ومن المدارس التي بها أماكن لدفن الموتى أو أضرحة لمؤسسيها في مدينة تعز هي المدرسة المظفرية، والأشرفية والظاهرية.

– التوجه في محورية الحركة الرئيسة للمدينة القديمة حيث اتخذت المسجد الجامع أساس المحور الرئيس للحركة الداخلية.

3– خصائص النسيج العمراني في المدينة القديمة:

يتضح من تحليل المرئيات الفضائية **والخرائط الخاصة بالنسيج العمراني (Urban Tissue)** لمدينة تعز القديمة، شكل (6)، الخصائص الآتية:–

- تتميز المدينة القديمة بنمط تقليدي محكم من التطورات ونمط بارز المعالم من خلال الشوارع المسدودة والمعقدة.
- خطوط عضوية متدرجة من حيث السمك تمثل شوارع المدينة والتي يتخللها مجموعة من المباني السكنية والمساجد والقباب بطريقة هندسية متراصة ومتجمعة حول أشباه مربعات تمثل أسوار لها.
- يظهر هذا التوزيع الهندسي لمباني المدينة القديمة وشوارعها طريقة تناسج متميزة ومتداخلة معقدة ومعتمدة على ضوابط وظروف بيئية محددة مثل التخطيط العفوي والعضوي لشبكة الشوارع التي تشبه ما هو موجد في كثير من المدن الإسلامية القديمة.
- يشكل تناسق المباني والمواقع المفتوحة شكلاً عمرانياً (Urban Form)، حيث يمكن ملاحظته من خلال البنية الفيزيائية المتصلة والتي تتألف من تكتلات متراصة على الأرض ومقسمة بواسطة إحاطتها بشوارع ضيقة مكونة تجمعات سكنية في النسيج العام للمدينة القديمة وهي الحارات.

– تمتلك حارات المدينة خصائص مثل المساجد والقباب والمدارس الإسلامية والتي أكسبتها شخصية وطابعاً متميزاً كما يمكن اعتبارها مرجعاً خارجياً عند رؤيتها بصرياً من الخارج مثل ما تمتلكه حارتي المظفر والأشرفية من مساجد وطرق متعرجة.

شكل (6) النسيج العمراني المتراص للمدينة

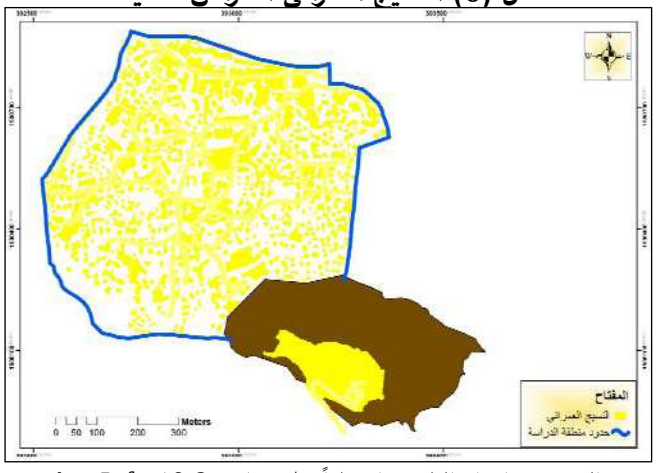

المصدر: إعداد الباحث اعتماداً على برامج Arc Info 10.8

ثالثاً: تحليل وتقييم الواقع الراهن للتراث العمراني في مدينة تعز القديمة.

يؤثر امتداد واتساع مدينة تعز الحديثة والنسيج الحضري الجديد على المدنية القديمة ونسيجها، فأدى إلى اختلاط وضياع الهوية التاريخية للنسيج التقليدي المميز للمدينة القديمة، وخاصة في مناطق الالتقاء في الشرق والغرب والشمال والجنوب، وتهدم واندثار جزء كبير من سور المدينة، وأبوابها، ولم يتبقى إلا بابين هما باب الكبير وموسى، وتحول الجزء المتهدم من السور، إلى أبنية ذات أنشطة تجارية ملاصقة للمباني التاريخية؛ تحمل بصمة ونمط معماري عادي وغير منتمي إلى العمارة التعزية التاريخية.

ويعمل الامتداد العمراني السريع للمدينة القديمة على سد الاحتياج المتواصل للسكن من قبل أفراد المجتمع الأصليين والباحثين عن التجديد أو الراغبين في السكن بالمدينة، ونتيجة لزيادة الطلب على المساكن، فقد اتجه السكان إلى بناء عدد من المساكن سواء بنمط حديث أو تقليدي، كل ذلك كان على حساب الطابع العمراني والتراثي والأنماط والتقاليد المحلية والمعمارية والفنية للمدينة القديمة. مما أدي إلى فقدان الترابط والانسجام بين الابنية القديمة والجديدة.

ووجود تغيير في التركيبة السكانية للمدينة القديمة، نتيجة تزايد الهجرة الريفية والنزوح من الحرب إلى المدينة الحديثة ومنها صوب المدينة القديمة، الأمر الذي أدي إلى فقدان العديد من الروابط الاجتماعية والثقافية بين أفراد المجتمع، مما ساعد على تعطيل خاصية المشاركة الشعبية بين أفراده بهدف الحفاظ والترميم لأي مبني داخل المدينة قد يحتاج إلى صيانة.

1- واقع التراث العمراني في المدينة القديمة.

ويفتقر النسيج الحضري الحالي إلى التماسك، حيث تبدو المباني التاريخية وكأنها تائهة ضمن سياقها العمراني، إذ أثرت عمليات البناء وأنشطة الترميم العشوائية بالسلب على الهوية التراثية للمنطقة، وعلى الصورة الجمالية والمميزة للمدينة القديمة، والتي نقلت إلى داخل المدينة بعض الوظائف والأنشطة المستحدثة، التي وفرت بيئة لإفساد طابع المدينة الطبيعي والاجتماعي؛ بانتشار واتساع الطرق، وانماط البناء ومنهجيتها المغايرة للهوية التاريخية التقليدية، والشكل (7) يبين ذلك.

شكل (7) الحالة العامة الراهنة للواقع البيئي والعمراني في المدينة القديمة.

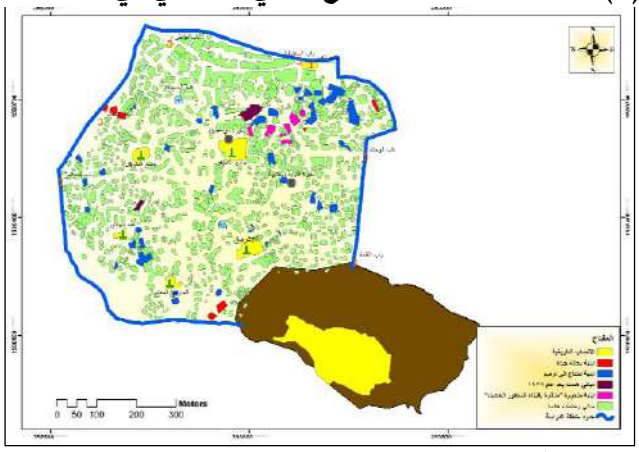

المصدر: إعداد الباحث اعتماداً على: مراجعة وتحديث المخطط العام لمدينة تعز 2025م، وبرنامج Arc Info 10.8

ويتضح من تحليل الشكل (7) الحقائق الآتية:

– تبعثر المباني ذات القيمة الأثرية في جميع أنحاء المدينة، مما يفرض ضرورة الإسراع في الحفاظ على المباني الفردية، بدلاً عن النسيج التاريخي كمصفوفة متكاملة، مع الأخذ في الاعتبار التحولات التي تحدث في الوسط التاريخي للمدينة.

– الطابع العمراني السائد في المدينة طابعه انتقالي مميز بالإهمال والتطور غير المخطط، ولا تتناسب معالم التراث مع سياقها، ويمكن أن تساعد عملية التنمية المتكاملة للمنطقة على الاهتمام بمعالم التراث الفردية، بينما المباني التاريخية ذات الطابع المميز؛ بإمكانها تساعد على تطوير المناطق المجاورة كبيئة جاذبة؛ تساعد على الاستثمارات الجديدة؛ وعلى ترويج السياحة؛ التماسك وتحسن ثراء النسيج الحضري.

– تدهور شديد للحالة الإنشائية للمباني التراثية المملوكة للأفراد في وسط المدينة القديمة، وتهدم العديد منها، مما يدعو إلى بذل الكثير من الجهد والدعم الحكومي، لمساعدة ملاك المباني التراثية للحفاظ على القيمة التاريخية لممتلكاتهم بصورة سليمة، ويتضح أيضاً أن عملية الحفاظ الفردية على المباني التراثية ليست كافية للحفاظ على شخصية الأحياء التاريخية ككل.

– استخدام بعض المعالم الأثرية كمواقع عسكرية، ومنها قلعة القاهرة، التي تدمرت بسبب الحرب.

– تقطيع النسيج العمراني المتضام إلى جزر ومساحات عبر شق الشوارع العريضة داخله، وإنشاء أبنية ذات ارتفاعات عالية على طرفيه. مما نتج عنه فقدان الخصوصية للمناطق المجاورة لشوارع الاختراق، مثل: (باب موسى، باب الكبير، باب المداجر).

– هجرة بعض سكان المدينة القديمة الى خارجها باتجه المدينة الحديثة، وتركهم لبيوتهم، إما فارغة، أو مؤجرة، مما أدى إلى عدم صيانتها وتركها تتهاوى بفعل الزمن. كما يتجه المهاجرين من الريف الى المدينة الحديثة للعمل فيها إلى الأحياء القديمة في المدينة والسكن فيها، أو شراء المباني القديمة من أصحابها الراغبين في بيعها والانتقال للسكن في الأحياء الجديدة، أو استئجار المساكن التي هجرها أهلها مقابل إيجارات زهيدة؛ لا تساعد صاحب المبني على صيانة وترميم مسكنه، ولا يستطيع

المستأجر صاحب الإمكانية الاقتصادية والشرائية المنخفضة أن يقوم بعملية الصيانة، الأمر الذي يساعد على تهالك المبني التراثي تدريجيًا.

– تحول عدد من المباني إلى مخازن تجارية، وبعضها تستعمل لتخزين بعض المواد المتفجرة التي تستخدم أما لشق الطرق، أو كألعاب نارية، أو ذخائر عسكرية، بالإضافة إلى استخدام بعض المعالم الأثرية كمقرات لأقسام الشرطة، وإدخال صناعات مضرة بالبيئة إلى المدينة القديمة، وتركز الفعاليات الإدارية والخدمية العامة في قلب المدينة القديمة، فضلاً عن عدم ملائمة بعض الأنشطة التجارية بالمدينة القديمة، بما يلبى احتياجات الطبقات الأقل تحضراً التي تعيش بهذه المناطق، حتى ولو كان ذلك غير ملائم حضارياً لهذه المنطقة التراثية.

– بطئ أعمال الترميم للمباني التراثية؛ إما بسبب نقص التمويل، أو بسبب ضعف النظم الإدارية، بالإضافة إلى أن عمليات الصيانة والترميم، سواء التي قام بها الأفراد، أو بعض الجهات الحكومية بالمدينة في حالات كثيرة تتم بطريقة غير مناسبة للأثر، من حيث طرق أو مواد الإنشاء، مما أدى إلى تشويه بعض معالمها الأثرية، مثل ما حدث من تشويه لجامع المظفر، وباب الكبير، وباب موسى، وقلعة القاهرة، حيث استخدم في ترميمها مواد تختلف عن المواد الأصلية التي بنيت بها، مثل: مادة الاسمنت، والأعمدة الخرسانية، مما اخل بقيمة تلك المعالم والإضرار بها.

– تأثير البيئة المحيطة في التقليل من أهمية المبنى الاثري، نتيجة البناء الملاصق للأثر، حيث يتم بناء منشآت، ومباني حديثة ملاصقة للاثر، مما يؤثر على الشكل العام للاثر، وعلى سلامته الإنشائية، والمعمارية، واستخدام طابع معماري لا يتناسب مع المنطقة، أو استخدام ألوان وتفاصيل معمارية غريبة عنها.

– إضافة مباني ومنشآت، سواء داخلياً أو خارجياً للمبنى الاثري نفسه، مما يؤثر على سلامة المبنى، بالإضافة إلى تغيير شكله الخارجي، أو هدم جزئي أو كلي للأثر، وتغيير شكل الأثر، واستخدام البناء من الاستخدام الاصلي إلى استخدام آخر غير مناسب يؤثر على سلامة المبنى، مثل عمل تعديلات داخلية بالتقسيم، أو إضافة غرف وخيمات في المبني، أو تغيير الواجهات بإضافة أو إغلاق فتحات به، أو إضافة خدمات مياه وصرف صحي وكهرباء، أو وضع لوحات إعلانية كبيرة وتثبيتها بالمباني الأثرية، مما يؤثر على سلامتها.

– التعصب والتشدد الديني الذي بدأ يغزو احياء المدينة القديمة كظاهرة طارئة عليها، والذي ادى الى تدمير عدد من القباب والاضرحة لبعض الفقهاء الصالحين، بحجة انها اضحت مزارا لعامة الناس، للتبرك بها، مما يهدد سلامة العقيدة، لذلك تم ازالتها، برغم من قدمها، حيث كانت من أبرز المعالم التاريخية في المدينة، كقبة ضريح الشيخ المتوكل وغيرها.

2– التدهور البيئي وانواعه وأسبابه في المدينة القديمة.

يظهر التشخيص الدقيق للواقع البيئي في مدينة تعز القديمة التحديات القائمة وضرورة التعامل الجاد معها، وفق استراتيجيات وسياسات واضحة وعاجلة، حيث تعاني مدينة تعز القديمة من مشكلات بيئية عديدة.

أ– أسباب التلوث البيئي في مدينة تعز.

وفيما يلي عرضا لاهم اسباب انتشار التلوث البيئي والتي تم رصدها من خلال الدراسة الميدانية، (نتائج الدراسة الميدانية، مارس 2022م)، هي على النحو الاتي:

– **تزايد الأنشطة الاقتصادية العشوائية:** تعد الأنشطة التجارية والصناعية غير المنظمة من المظاهر الرئيسية لمدينة تعز القديمة، وتنتشر في المدينة أنشطة صناعية تتزايد مع مرور الزمن مثل الورش الحرفية وورش سمكرة السيارات ومعامل صناعية صغيرة، وأنشطة تجارية في المحلات والاكشاك، وتعتبر تلك الصناعات مصدراً رئيسيا لتلوث البيئة المحيطة، مما يؤثر على استدامتها، كما يمثل التخلص العشوائي من النفايات التجارية في الاماكن المفتوحة في المدينة أو المجاورة لها مصدرًا آخر للتلوث. وتمثل التحولات الاقتصادية سببًا من أسباب اختلالات البيئة التراثية، حيث يساعد التغير في الجوانب الاقتصادية على اتساع القاعدة الاقتصادية لمدينة تعز القديمة، مما يؤدى إلى الاستغناء عن الحرف التقليدية واستقطاب صناعات ذات أشكال ومواصفات وأحجام مختلفة وتجارة حرة وواسعة.

– **النمو السكاني المرتفع:** أدى معدل النمو السكاني المرتفع في مدينة تعز الى تزايد الطلب على الموارد واستنزافها، وبسبب استخدام هذه الموارد يحدث زيادة تلوث الهواء والمياه والغذاء وزيادة حجم النفايات الصلبة الخطرة وغير الخطرة وتتدهور البيئة في هذه المدينة التراثية وتغير في استعمالات الارض ونشوء مواقع السكن العشوائي في المناطق المفتوحة داخل المدينة القديمة، حيث تفتقر هذه المساكن للشروط الفنية والصحية والبيئية. ويمكن القول بأن التزايد في حجم السكان يضع السلطة والمواطنين أمام تحديات كبيرة، متمثلة في محدودية الموارد وعدم استغلالها الاستغلال الأمثل، الأمر الذي يؤثر سلباً على بيئة المدينة التراثية، ويؤدي إلى ظهور العديد من المشكلات البيئية التي تؤثر بدورها على مجالات التنمية المختلفة، لذلك فإن غياب الخطط الواضحة لإدارة التقييم البيئي في المدينة القديمة تؤدي إلى التدهور البيئي بسبب النمو السكاني المتزايد بوتيرة عالية، ولعلى ارتفاع ايجار المساكن في المدينة الحديثة دفع الكثير من الموظفين محدودي الدخل الى العودة للسكن في المدينة القديمة والذي سينعكس سلبا على صحة البشر وسلامة البيئة.

– **شحة الموارد المائية:** تواجه مدينة تعز القديمة والحديثة أزمة مياه حادة، نتيجة استمرار الحرب التي تسببت في استنزاف الموارد المائية، وتلوث المياه، وتدمير شبكة امدادات المياه للمنازل، لذا فان عدم الوفاء باحتياجات مياه الشرب يزيد من المشاكل الصحية والبيئية يوم بعد يوم، وهذه من أهم الأسباب التي تسبب التدهور البيئي في مدينة تعز القديمة. ونتيجة للضغوط السكانية على هذه المدينة والقصور في خدمات إمداد المياه العامة لسكان المدينة يضطرهم إلى الاعتماد على مصادر المياه الخاصة، حيث الرقابة الصحية معدومة على هذه المصادر سواء الآبار المحفورة بمواصفات عشوائية أو الخزانات الصالحة لمياه الشرب والتي وزعتها المنظمات الاغاثية في احياء المدينة أو الحاويات المحمولة على السيارات (الوايتات) أو الأوعية والخزانات المنزلية التي تعبأ فيها هذه المياه، ومعظم هذه الصناعات المائية لا تخضع لأي رقابة حكومية أو شعبية باستثناء بعض الزيارات التفتيشية النادرة لمكتب صحة البيئة او التابعة للمنظمات في تعز.

– **تدني الوعي البيئي لسكان المدينة القديمة:** ففي السنوات الأخيرة (سنوات الحرب 2015 – 2022م) تدنى الوعي البيئي لدى مختلف شرائح المجتمع التعزي، مما ادى الى ظهور بعض المشاكل البيئية في مدينة تعز القديمة لعدم وجود استراتيجية تعالج قضايا الوعي والتعليم البيئي على المستوى الوطني والمحلي مما أدى إلى تدنى مستوى الوعي العام حول قضايا التدهور البيئي لمدينة تعز الحديثة بصفة عامة والمدينة القديمة بصفة خاصة، نظرا لتزايد عدد السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر، وبهذا تعد متطلبات الاستدامة البيئية ليست ذات أولوية بالنسبة لهم.

ب- انواع التلوث البيئي التي تم رصدها في مدينة تعز القديمة.

أمكن من خلال الدراسة الميدانية رصد وتوثيق أهم انواع التلوث البيئي في مدينة تعز القدمة، وهي على النحو التالي: (الدراسة الميدانية مارس 2022م):

- **التلوث الضوضائي:** يعتبر التلوث الضوضائي من أهم المشكلات البيئية الناتجة عن الصناعة الحرفية وحركة وسائل النقل في الوقت الراهن، ويترك آثاره البالغة على صحة الإنسان وعلى التوازن البيئي عموما. ولقد أثبتت بعض الدراسات علاقته المباشرة مع العديد من الأمراض وأهمها ارتفاع الضغط وأمراض القلب والشرايين، واضطراب النوم والقلق البالغ أو نقص حاسة السمع والشم لدى شرائح من السكان الذين يقطنون هذه المدن (غرايبة، 2010، 140). وينتج ضجيج مدينة تعز القديمة عموما من زيادة أعداد السيارات داخلها، وزيادة أعداد الدراجات النارية بالإضافة إلى الضوضاء الناتجة من حركة البيع والشراء داخل أسواق المدينة، ويعتبر الضجيج الناتج عن الآلات المهنية والمنزلية من المعدلات التي لا يمكن اهمالها في التلوث الضوضائي، وتزداد كثافة هذا التلوث في المناطق التجارية داخل المدينة القديمة.

- **التلوث البصري:** يعرف التلوث البصري بأنه الإحساس بالنفور عند رؤية مناظر، أو مظاهر غير جمالية في عناصر البيئة العمرانية، من كتل بنائية أو فرغات تتعارض وتتنافر مع البيئة الطبيعية، أو المناخية أو القيم الجمالية والمعمارية أو القيم الدينية والحضارية (البناء، 2008، 89). وترجع أسباب التلوث البصري في مدينة تعز القديمة الى الإهمال، وسوء الاستخدام، ورداءة التخطيط، وهبوط المستوى الفني للتصميم، ودور السلوكيات الاجتماعية الخاطئة، وتردي مستوى الذوق العام، ويعتبر التلوث البصري في مدينة تعز القديمة أحد المشاكل البيئية الناتجة عن اهمال التعامل مع الفتحات وذلك من حيث عدم الموافقة وسوء استخدام الشكل أو اللون أو علاقاتها ببعضها البعض، كذلك البقع اللونية للأحجار او القطع الزخرفية تزايدت حتى اصبحت مسيطرة على الواجهة الخارجية. كما أن رداءة توزيع أعمدة الكهرباء التي تقطع الشوارع وتشوه شكل المباني بالمدينة وعدم انتظامها أو وضعها بطريقة مقبولة تمثل تلوثًا بصريًا بالمدينة، اضافةً الى وضع اللافتات والإعلانات على الواجهات والتي لا تتماشى مع الوجه الجمالي لمدينة تعز القديمة ودون الأخذ بعين الاعتبار بالنواحي الجمالية والطابع العام المميز للمدينة، كما أنه يتنافى مع الذوق العام، نتيجة سوء استخدام الالوان والمواد في المباني الحديثة بالمدينة القديمة.

- **التلوث الهوائي:** وتعتبر مدينة تعز القديمة من المدن الأكثر عرضة للتلوث الهوائي وخاصة من مصادر النقل، ومولدات توليد الطاقة، واحراق النفايات المنزلية، واستخدام النار في طهي الطعام، وبما أن مدينة تعز القديمة محاطة بالمدينة الحديثة، مما يتسبب في التقليل من قدرة الهواء على التحرك وتشتيت الهواء الملوث، مما يساعد على تلوث الهواء في هذه المدينة.

- **التلوث بالنفايات:** تشكل النفايات الصلبة والسائلة والغازية أحد أهم المشاكل البيئية في المدينة القديمة، وتزداد حجم النفايات بشكل متسارع مع مرور الزمن، كما أن عدم وجود إدارة متكاملة للنفايات الصلبة، ادى الى تكدس وتراكم النفايات في احياء وشوارع المدينة، فقد شهدت المدينة القديمة انتشار مخيف للأمراض المعدية مثل: حمى الضنك وحمى المكرفس والكوليرا والتيفوئيد، فيكاد لا يخلو منزل من منازل المدينة القديمة من اصابة بعض أفراده بهذه الامراض والتي أودت بحياة عدد منهم خلال عام 2020م، ونظرا للتخلص العشوائي من النفايات، نتج عنه تلوث بصري للقيم المعمارية للمباني التراثية، ويمثل الحرق المكشوف والاشتعال الذاتي لأكوام النفايات المكدسة

أحد الأسباب الرئيسية لتلوث الهواء، مما يؤثر على صحة المواطنين. كما يلاحظ أن شبكة الصرف الصحي في مدينة تعز القديمة تتسم بالتهالك والتردي، مما يؤثر على سلامة المباني التراثية نتيجة التخلص من الملوثات بشكل عشوائي. إن السيطرة الفعالة على توليد وتخزين ومعالجة تدوير واعادة استخدام ونقل والتخلص الآمن بيئيًا من النفايات الصلبة والسائلة لذو أهمية بالغة للصحة وحماية البيئة في مدينة تعز القديمة لتحقيق التنمية المستدامة.

3- المشكلات التي تعاني منها مدينة تعز القديمة.

يتضح مما تقدم من خلال دراسة وتحليل الوضع البيئي والعمراني والتخطيطي والخدمي لمدينة تعز القديمة أنها تحتوي على الكثير من نقاط القوة، كما تتوفر لها بعض الامكانيات والفرص الممكن استغلالها في صياغة واقتراح سياسات واستراتيجيات تخطيط وتنمية وإحياء بيئتها. فتواجه المدينة جملة من المشكلات، والتي سيتم تناولها بإيجاز كما يلي:

أ- مشكلات التجديد والتحديث:

تواجه المدينة القديمة كغيرها من المدن التراثية في معظم الدول العربية مشكلة التحديث والتجديد في المباني والخدمات والمرافق، دون مراعاة أسس ومبادئ الترميم والحفاظ المعماري، وتتخذ عملية التجديد والتحديث أشكالا مختلفة، تشمل: الاضافات العشوائية (أفقياً ورأسياً) على المباني التاريخية. باستخدام مواد حديثة غير ملائمة ودون إشراف فني ودون مراعاة الشكل والطابع العمراني التراثي وقدرة المباني التاريخية على تحمّل الأثقال الناتجة عن إضافة الطوابق (السيد، ومطلك، 2019، 161). وفي معظم الإضافات يتم تدمير جزء كبير من العناصر التاريخية الأصلية وتشويهها، ما يؤدي إلى طمس المعالم المعمارية المميزة. واستخدام مواد بناء حديثة تختلف في طبيعتها واستخدامها عن مواد البناء التقليدية، ما أبعد الوحدات السكنية المبنية بهذا الأسلوب عن أصالتها وأدى إلى عدم انسجامها مع البيئة المعمارية التقليدية، لتصبح مثل هذه المنشآت عنصرا شاذا وغريبا عن المحيط. ويعود استخدام هذه المواد لسهولة توفرها ورخص تكلفتها مقارنة بالمواد التقليدية، وكذلك لعدم توفر المهارات المحلية في أساليب البناء التقليدية، إضافة لما توفره المواد الحديثة من حل لمشاكل الإسكان بتعدد الطوابق، وبصفة عامة الرغبة في الجديد الحديث. وعدم وجود ضوابط أو قوانين للتحكم في التدخلات، وتنظيم عملية البناء في المدينة القديمة. وعدم تفعيل قانون الحفاظ على التراث في تعز وعدم توفر أليات لتطبيقه. وإدخال الوسائل المعيشية الحديثة من مياه وصرف صحي وكهرباء وهاتف وغيرها بشكل عشوائي ودون مراعاة للمحتوى التاريخي؛ ودون إشراف فني، وعلى الرغم من أهمية هذه الخدمات، وضرورة تلبية الاحتياجات العصرية للسكان والمستخدمين للمباني التاريخية، إلا أن أساليب تنفيذها تتسبب في تدمير الكثير من العناصر المعمارية التاريخية، ما ترتب عليه تغيير ملحوظ في طابع المدينة، كذلك حدث الإهمال لعناصر بنائية قديمة وإحلالها بأنماط جديدة غير ملائمة للنسيج العمراني التاريخي. وازدياد دخول السيارات للمدينة القديمة، التي تمتاز بشوارعها الضيقة وحاراتها الأكثر ضيقا وأماكن الانتظار (مواقف السيارات) القليلة أو شبه المنعدمة، والذي كانت له آثار بالغة الخطورة على النسيج العمراني، سواء فيما يمكن إحداثه من توسعات في الشوارع على حساب المباني أو توسعات على حساب الفراغات المتمثلة في الساحات على قلتها، إلى جانب الأضرار السلبية الناتجة عن عوادم السيارات ومخلفاتها على المباني. وعدم توفر كادر فني متخصص في الحفاظ على التراث المعماري وترميم المباني التاريخية حسب القوانين والمعايير الدولية للحفاظ. وأدت الحرب في اليمن إلى هدم وتدمير العديد من المباني التاريخية بشكل كلي أو جزئي

وبعض الأضرحة، مثل تدمير مباني قلعة القاهرة وكذلك إحداث تصدعات وتشققات في جدران وأساسات العديد من المباني المجاورة للمباني المهدمة.

ب- مشكلات اجتماعية:

أدت التغيرات الجديدة التي تعرضت لها المدينة القديمة إلى تداخل طبقات عمرانية متناقضة في نسيجها، ما أدى إلى تشويه ملامحها العمرانية؛ وخلخلة نسيجها التنظيمي، وضياع مقياسها الإنساني والخصوصية التي كانت توفرها التصميمات المعمارية لمساكنها ومبانيها، كما تغيرت الكثير من الوظائف التي كانت توفرها مبانيها التاريخية، فيما أدى تغير التركيبة الديموغرافية بنزوح بعض الاسر الأصلية من المدينة القديمة إلى خارجها، وتفضيلها السكن في مبان حديثة في احياء مدينة تعز الحديثة واستبدالها بعوائل محدودة الدخل من تعز وريفها إلى تغيير للظروف الاجتماعية والاقتصادية. وقد أدت هذه التغيرات إلى تغيير الشكل المعماري الأصلي وطمس معالمه المميزة وإدخال خدمات حديثة بشكل مدمّر. كما أدت هجرة السكان إلى الأحياء الجديدة إلى توظيف أموال مستثمرين في شراء واستئجار البيوت المتداعية وتحويلها إلى مستودعات أو ورش صناعية (نسيجية، واغذية، ومعدنية والعاب نارية)، مما أدى إلى تغيير الوظيفة الأساسية للأحياء السكنية واستبدالها بوظيفة لا تنسجم مع بيئتها، مثل: تعديل تصميم المساكن وإجراء تغيرات جذرية لتتأقلم مع الوظيفة الجديدة للسكان الجدد والاحتياجات المختلفة وازدياد حركة السيارات داخل الأحياء السكنية القديمة لنقل المواد الأولية. واختلاط مناطق العمل بمناطق السكن. ونقل الضجيج والتلوث إلى داخل الأحياء السكنية القديمة. وظهور أبنية جديدة غير ملائمة للنسيج العمراني التاريخي، واندثار العديد من العناصر المعمارية المميزة والزخارف، كما ظهرت عدة مشاكل كان أساسها العامل الاجتماعي أو الحياة الاجتماعية ومنها: فقدان الشعور بالخصوصية إلى حد كبير مقارنة بالمناطق الأخرى في المدينة، فالمساحات الصغيرة للأبنية المتلاصقة والمتجاورة أو المتقابلة في مداخلها والأحواش، خلقت تداخلاً ما بين الاسر المتجاورة، ما قلّل كثيرا من الشعور بالراحة والحرية في السلوك اليومي. وأدَى تدهور الوضع الفيزيائي والبيئي الى انتقال الطبقات الفقيرة والمهمشة إليها بسبب تدني الإيجارات وارتفاع نسبة البطالة مقارنة بباقي المدينة، نتيجة تدني مستوى التعليم والثقافة بشكل عام.

ج- مشكلات اقتصادية:

تعد الامكانيات المالية عاملاً مؤثراً في مجال إعمار تعز القديمة. فإن مواد البناء التقليدية تتميز بغلاء أسعارها والكثير من سكان المدينة لا يقدر على تحمل هذه التكاليف. لذا فان هذا الغلاء وما يواكبه من قصور مادي يجعل الطابع المميز للمدينة بعناصره التقليدية معرضا للضياع (زعابة، 2022، 997). وينعكس مثل هذا القصور المادي، أيضا على ما يجب إنفاقه لإقامة المرافق العامة والمراكز الصحية والثقافية والأماكن الترفيهية وغيرها، فعدم إقامتها يعتبر عاملا مؤثرا في نزوح بعض من السكان خارج إطار المدينة القديمة. ويمثل العامل المادي أيضاً دافعاً لنزوح ساكني المدينة خارجها، حيث أن إعادة بناء أي منزل منهار أو تجديده يحتاج في واقع الأمر إلى تكاليف مالية باهظة في الوقت الذي يمكن فيه استثمار هذا المبلغ في إقامة بناء حديث في الامتداد العمراني لتعز الحديثة، وما يمكن أن يدره هذا البناء من دخل شهري ثابت، وهذا يختلف بالطبع عن دخل المدينة القديمة، والتي يجب أن يلتزم فيها صاحب المنزل بإتباع أسلوب محدد عند التجديد أو إعادة البناء، وهذا له تأثيره السلبي على المدينة القديمة في نزوح بعض سكانها ثم الإهمال لمنازلها.

د-مشكلة ندرة الكفاءات الفنية:

تمثل ندرة الكوادر الفنية المتخصصة في أعمال الترميم مشكلة تمتد لتشمل اليمن بشكل عام، ومدينة تعز بشكل خاص، وبالتالي فإن عمليات الترميم تتم من جهات غير متخصصة لا تملك الخلفية العلمية لخصائص الفن التقليدي ومميزاته، ولا المعرفة اللازمة للأسس المعمول بها في مجال الترميم والتأهيل للمباني التاريخية. وبسبب هذه الندرة في المتخصصين يتم اللجوء إلى غير المتخصصين، وما يمكن أن يترتب على ذلك من تدمير واساءة استخدام لهذا التراث المعماري المميز ورغم وجود عدد من المهندسين المعماريين لدى الجهات المسؤولة عن الحفاظ والترميم، إلا أن هذا التخصص على أهميته في المجال الهندسي يحتاج إلى بناء الطاقات في مجال الترميم والحفاظ على التراث؛ والالمام بأسسها العلمية وتطبيقها حسب القوانين الدولية للحفاظ على التراث.

هـ-مشكلة الإهمال وتدني الاهتمام:

تواجه مباني المدينة القديمة في تعز ومنشآتها الإهمال الشديد، خاصة تلك التي تعرضت للهدم أو الانهيار أو التصدّع الذي مس الكثير منها نتيجة عوامل طبيعية أو نتيجة الحرب ولم تجر إلى الآن أي أعمال ترميم أو صيانة للكثير منها، هذا بالإضافة إلى الإهمال الذي مس المنشآت التي فقدت قيمتها الوظيفية نتيجة لتطور الوسائل في كافة أوجه الحياة مثل البوابات المؤدية للمدينة باب موسى وباب الكبير، وهناك بعض الجهود والمحاولات التي بذلت من قبل بعضن المؤسسات التجارية الخاصة مثل مجموعة بيت هائل سعيد أنعم وشركاه، وبعض المنظمات الدولية والمحلية مثل المنظمة الفرنسية، والجهات التابعة للمجلس المحلي بمحافظة تعز.

و- معوقات الحفاظ على التراث العمراني في المدينة القديمة:

هناك جملة من المعوقات التي يمكن أن تعرقل الجهود الرامية للحفاظ على التراث العمراني وتطويره في المدينة القديمة ومن أهمها: غياب الوعي بأهمية الإرث التاريخي وغياب التشريعات والأنظمة والسياسات العامة التي تلزم المؤسسات والأفراد بالحفاظ على التراث العمراني والالزام بإزالة مسببات الضرر على ممتلكات الغير، وتبين كيفية التعامل معه على كافة المستويات. وعدم استكمال المسوح والدراسات والبحوث التطبيقية الخاصة بالمدينة القديمة مثل مسح المباني التي تعرضت للهدم والتصدع، ودراسة مسببات التلف الموجودة في المباني وأساليب معالجتها أو حمايتها. وعدم القدرة على استثمار الإمكانيات السياحية المتوافرة في منطقة الدراسة، حيث ظل دورها في التنمية الاقتصادية محدودا لأسباب منها: صعوبة الحركة والمرور للمنطقة بشكل خاص بسبب الازدحام نتيجة عدم توفر مواقف للسيارات، وعدم استقرار الأوضاع الأمنية في تعز سواء على الصعيد الداخلي أو على صعيد الجبهات الحربية في مدينة تعز. فضلا عن الضعف الكبير في مستوى التجهيزات والخدمات السياحية المتوافرة، وقلة رأس المال الموجه لقطاع السياحة سواء قبل الحرب أو اثناء الحرب. وعدم توفر خارطة رقمية سياحية تظهر المواقع التراثية المهمة وأماكن الجذب في المدينة القديمة. وعدم وجود لوحات على المعالم المهمة تحمل أسمها وتلخص تاريخها وأهميتها.

رابعاً: آلية تطوير وحماية واستثمار البيئة التراثية ونسيجها العمراني في المدينة القديمة.

تهدف عملية تطوير المدينة القديمة إلى إبراز الأهمية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياحية للتراث العمراني فيها كأحد القطاعات الأساسية للتنمية المستدامة، وهذا الهدف يدخل في إطار التوجهات الجديدة لمنظمة اليونسكو (UNESCO)، التي حددت معنى التراث على نطاق

واسع، مما يتطلب إعادة النظر في فلسفة التطوير والحفاظ القائمة، إلى فلسفة شاملة ترتقي بالبيئة العمرانية والاجتماعية والاقتصادية للمدينة. وتحسين نسيجها العمراني وربطه بالنسيج الحضري للمدينة الحديثة، وتوفير فرص اقتصادية لتطوير السياحة فيها (حمدان، 2015، 455). من خلال تحديد المشاكل التي تواجه عملية التطوير، واقتراح الحلول، والسياسات والاساليب المناسبة، وتحديد المشاريع ذات الأولوية، ومواضع تنفيذها، لتفعيل عملية التطوير والارتقاء ببيئة تعز القديمة.

وقد أثرت مدينة تعز تأثيرًا بالغًا في تاريخ اليمن منذ العصور الوسطى تحت حكم الرسوليين فقد كانت هي العاصمة السياسية والعسكرية والثقافية ولأكثر من (200 سنة)، ومازالت اعداد من المباني منذ العصر الذهبي للمدينة موجودة حتى اليوم، فيما تضرر اغلب النسيج الحضري، نتيجة تخريب العديد من المباني التاريخية الهامة من عصور تاريخية مختلفة، الامر الذي يهدد مستقبل المدينة وهويتها التاريخية، إضافة إلى إن فقدان مثل هذه المباني والصور الحضرية المتميزة يضر كثيرًا بأصول ثقافية ثابتة عالية القيمة؛ بإمكانها اذا ما تم الحفاظ عليها ان تساهم في التنمية الاقتصادية للمدينة، وهذا الواقع يقتضي قرار عاجل لإعادة تأهيل وترميم المميزات الحضرية التاريخية للمدينة، وعليه فان الاولوية هي حماية وتطوير المعالم العمرانية للبيئة التراثية بمدينة تعز القديمة.

1- مصفوفة تطوير التراث العمراني وربطه بالنسيج الحضري لمدينة تعز الحديثة.

جدول (3) تفعيل أدوات تطوير التراث العمراني بالمدينة القديمة.

المشاكل	تحليل الحاله	اقتراح الحلول	السياسات	اسلوب التنفيذ
التخطيطية	- تعود ملكية اغلب المباني التراثية للمواطنين، وعجزهم عن القيام بمشاريع تطويرية نتيجة لصغر حجم ملكياتهم وتعدد أصحابها. - عدم قيام السلطة بدعم ملاك المباني التراثية في الحفاظ على مبانيهم لإعادة استثمار تلك المباني اقتصاديا.	- تقوم السلطة بتملك هذه المباني برضى المواطنين. - تعويض ملاك المباني التراثية. - وضع آلية لمشاركة المواطنين أصحاب القرار في اتخاذ قرارات التطوير والاستثمار. - إجراء مسوح شامله للمدينة لتحديد المباني التراثية ونوعية هذه المباني إما في الحفاظ عليها أو استثمارها في مشاريع سياحية. - إيجاد أنماط جديدة من العمالة في المدينة القديمة	**إعلان المدينة القديمة محمية تراثية وتاريخية.**	- قيام الجهات المختصة بإدراج مدينة تعز القديمة الواقعة ضمن السور الحالي كمحمية تراثية وتاريخية يصدر بها قانون محلي يمنع هدم ما تبقى من السور وغيره من المعالم التراثية، وترميم المنازل القديمة ومعالم التراث بما لا يؤثر على اندثار هويتها التاريخية أو يغيرها إلى النمط الحديث غير المقنن. - تفعيل دور المدينة على المستوى الاقتصادي بتأكيد أهمية تعز القديمة كمركز لمحافظة تعز والتقليل من خسارة العمالة المحلية. - تشجيع ان تكون زيادة العمالة من خلال إعادة تأهيل المدينة القديمة واستثمار ملاك المباني التراثية لمبانيهم اقتصادياً.
القانونية	- عدم توفر لوائح وضوابط مناسبة للبناء والترميم لمعالم التراث في المدينة. - عدم وجود قانون لحماية الطابع العمراني للمدينة وانسجام البيئة المبنية مما يساهم في إيجاد هوية ثقافية للمدينة ذات قدرة على الجذب السياحي.	- تحديد ارتفاعات الابنية وأساليب الترميم والبناء. - توفير الحوافز الاقتصادية لدعم تطوير وتأهيل المدينة. - إعادة النظر بقوانين البناء في المدينة القديمة. - ان تشتمل الحوافز على الحوافز المباشرة كمنح مالية لملاك المباني	**وقف التدهور والتهرؤ الراهن للبيئة الأثرية بالمنطقة.**	- تحجيم النمو العمراني في المنطقة وتطوير مناطق مختارة في المدينة القديمة لتشجيع عملية إعادة التأهيل والتخفيف من التدهور لوسط المدينة ورفع مستوى بعض المباني التراثية لتصبح نقاط جاذبة لإحياء دور المدينة القديمة - تطوير

	- عدم توافر الحوافز الكافية للحفاظ على المباني التراثية أو لدعم المشاريع التطويرية بالمدينة القديمة.	التراثية ومشاريع معينه أو المشاركة بالمثل وهو تقديم ما هو موازي للمبلغ الذي يقدمه المستثمر، وهنالك الحوافز غير المباشرة المبنية على الضرائب، والقروض بفوائد قليلة وضمانات القروض. - وضع اللوائح الخاصة بترخيص وإعادة استخدام الأبنية التراثية، والمحافظة على أصالة المباني التقليدية كنموذج قائم ودال على تاريخ المدينة.		لوائح ومواصفات البناء لضمان الصيانة بطريقة جيدة، بالإضافة إلى تطوير الخدمات الأساسية مثل تصريف مياه الأمطار، ورفع كفاءة المؤسسات الخدمية على المستوى المحلي. - اعتماد تعريف قانوني للمباني التراثية وتحديدها وحمايتها وتحديد أساليب الترميم. - العمل على نقل حقوق التطوير للمالكين من المناطق ذات الأهمية للحفاظ عليها إلى مناطق أخرى وبالتالي حماية حقوق المواطنين وكسب دعمهم.
الإدارية	- يقتصر عمل المجلس المحلي في تعز على توفير الخدمات اليومية للمواطنين دون الاهتمام بالتطوير السياحي. - يفتقر المجلس المحلي بمدينة تعز بشكل عام إلى الكوادر المؤهلة فنيا وإداريا، سواء في مجال التطوير أو تشجيع الاستثمار أوفي ابتكار الأساليب المشجعة على الحفاظ وكسب المجتمع المحلي ومشاركته في عملية التطوير. - عدم توفر برامج نظم المعلومات الجغرافية الذي يسهل عملية إدارة الخدمات ودراسة المشاريع بالمنطقة	- تدريب وتاهيل كوادر المجلس المحلي على كيفية إدارة التطوير في المدن التراثية. - اعتماد برامج نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد في تطوير وإدارة مدينة تعز القديمة. - تزويد المجلس بالأساليب الحديثة في التطوير والتأهيل والإدارة وتوفير فرص العمل للمجتمع المحلي ودراسة الجدوى الاقتصادية للمشاريع.	**اعادة هيكلة وتحديث لوائح ومهام المجلس المحلي والمؤسسات ذات العلاقة بالتراث العمراني وتطويرها كوادرها فنياً وادارياً.**	يعتمد النجاح على تحقيق ذلك من خلال تطوير الإدارة الحكومية المتمثلة بالمجلس المحلي وادارة التراث والاتصالات والنقل، والتجارة والنظافة وتطوير نشاطات الأسواق القديمة بالمدينة بها.
المالية	- يعاني المجلس المحلي عجز مادي ناتج عن سوء الإدارة والتخطيط فيتم صرف ثلثي ميزانيته على رواتب موظفيه وتقديم الخدمات للمواطنين دون القدرة على التمويل أو الاستثمار. - . ضعف قدراته المالية سواء على تنفيذ المشاريع أو استملاك المباني التراثية. - عدم تملك المجلس للأراضي الواقعة ضمن حدوده، والتابعة لأملاك الدولة، وليس له صلاحيات في استثمارها. - يعد المجتمع المحلي عاجزا عن القيام بالمشاريع التطويرية نتيجة لعدم توفر التمويل وهو قادر فقط على القيام	- إشراك المجتمع المحلي في مشاريع التطوير من خلال توفير الحوافز المالية التي تسمح لهم بالمشاركة الفاعلة في تطوير المدينة القديمة. - تتميز البيئة التراثية لمدينة تعز القديمة بوجود قلعة القاهرة والتي من المتوقع أن تعود كأهم موقع جاذب لألاف الزوار إذا ما تم اعادة تأهيلها مما لحق بها من اضرار الحرب. مما يوفر سيوله مالية ضخمة.	**توفير الاعتماد المالي للمجلس ليطور من قدراته الفنية والتنفيذية في إدارة معالم التراث**	- في حالة توفير الاعتماد المالي للمجلس يمكن أن يشكل دخلا لا بأس به يمكنه من الاستثمار في مشاريع التطوير والتأهيل للمدينة وزيادة الجذب السياحي.

	بالمشاريع الصغيرة إذا ما توفرت ضمانات لذلك. أما مستثمري القطاع الخاص بحاجة إلى ضمانات لتوفير التمويل من البنوك.			
الاجتماعية	- هجرة السكان الأصليين للمدينة القديمة إلى خارجها بحثا عن بيئة اجتماعيه أفضل. - تأجير المباني التراثية لمحدودي الدخل والقادمين من الريف نظرا لقدم هذه المنطقة ومبانيها وعدم ملازمتها للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المتلاحقة. - تحولت المدينة القديمة من مناطق سكنية إلى مركز تجاري مزدحم يعج بحركة المركبات، بعد أن كان يمثل حيا هادئا من الأحياء السكنية نتيجة لتغير وظيفة المدينة وبالتالي فان قدرة السكان على البقاء يعد أمر في غاية الصعوبة.	- مراعاة النمط الاجتماعي وعدم إحساس سكان المدينة بالتغريب أمر في غاية الأهمية يجب مراعاته عند إجراء عملية التطوير مما يساعد على إنجاحها. - رفع مستوى التوعية لسكان المدينة وإدراكهم للدور الذي يمكن أن يقوموا به في زيادة الجذب السياحي من خلال تعاملهم مع السائح وإيجاد حرف ومهن أصيلة ومتميزة تعكس الهوية الثقافية لهذه المجتمعات وتزيد من عوامل الجذب. - تطوير المدينة سياحيا يستلزم من المختصين فهم النواحي الاقتصادية لتحديد الأدوات التي سيستخدمونها لإعادة تأهيل وتطوير المدينة وصولا إلى مجتمع مؤهل للقيام بعملية التطوير	**خفض حدة عدم الانسجام الاجتماعي الناتج عن التطوير.**	يمكن ان ينتج عدم الانسجام الاجتماعي نتيجة للتغيرات الاقتصادية والتغيرات الفيزيائية وبالتالي فإن من المهم أن يكون السكان المحليين مشاركين في عملية التطوير للتأكد من اطلاعهم على المنافع والمضار الناتجة عن عملية التطوير. مع إبقاء الخصوصية ضمن المناطق السكنية في المدينة من خلال تحديد مواقع انتشار الزوار. - لتطوير المدينة يجب أن يأخذ في الاعتبار قدرة المقيمين في المدينة على البقاء سواء كحرف بسيطة قد تتنافس مع الحرف الجديدة والمشاريع وإمكانيات المستثمرين العالية، أو كمالكين ليس لديهم القدرة على إيجاد التمويل الكاف للحاق بعملية التطوير مما يضطرهم إلى الرحيل عن المدينة إلى منطقه أخرى.
البيئية	**غياب تطبيق تقييم الأثر البيئي لمشروعات التنمية وتأثيراتها السلبية على بيئة مدينة تعز القديمة.** - يوجد أوجه قصور تؤثر على تنفيذ التقييم البيئي في هذه المدينة وذلك لأن العديد من القيادات الحكومية الذين يشغلون مناصب مختلفة ليسوا مقتنعين بأهمية حماية البيئة والتقييم البيئي لهذه المدينة، - يعض القيادات يرون التقييم البيئي على انه رفاهية وأن هناك قضايا اقتصادية أكثر أهمية كما أن مسئولي الحكومة ينظرون إلى الإجراءات البيئية على أنها عوامل إعاقة للاستثمار في بيئة المدينة، وهذا يؤدي إلى إهمال تطبيق قوانين حماية البيئة. - وضعف في دور الجهة المختصة بحماية البيئة . وغالبا ما نجد أن معظم المشاكل في الإدارة البيئية	- يعتبر التقييم البيئي جزء من التخطيط البيئي وهو الطريقة التي تنظم عملية نقل المجتمع إلى مستوى أفضل وهو بهذا المعنى أسلوب عمل لتحقيق الاستدامة البيئية للمدينة القديمة وتراثها بأقصر وقت وأوفر جهد وأقل كلفة، والتقييم البيئي يقوم على عنصرين أساسيين هما التنبؤ بالمستقبل والاستعداد لمواجهته عبر خطة تهدف إلى تحقيق أهداف المجتمع في ميدان وظيفي معين لمنطقة ما في مدى زمني محدد فيتم تحويل هذه الخطة إلى برامج أو مشروعات مختلفة في فترة زمنية محددة. - إعلان المجلس المحلي لمديرية المظفر التزامه الصريح بتطبيق نظم التقييم البيئي داخل أجهزة المدينة، والأخذ بمبادئ الإدارة البيئية والتقييم البيئي عند وضع	**تطبيق البعد البيئي لاستدامة الهوية التراثية لمدينة تعز القديمة وحمايتها من الاندثار وضياع القيمة التاريخية لمعالمها.**	الهدف الرئيسي لعملية التقييم البيئي لمدينة تعز القديمة هو جعل الاعتبارات البيئية تدخل ضمن عملية اتخاذ القرار، ولذلك يجب على الهيئات أن تقوم بتحقيق التكامل بين التقييم البيئي وبين عمليات التخطيط العمراني التنموي في المراحل المبكرة ، وسوف يضمن ذلك أن التخطيط العمراني والقرارات التنموية تعكس قيما بيئية وتتجنب أي تأخير أو تعقيدات اجرائية قد تحدث بعد ذلك في عملية التنمية ضمن مدينة تعز القديمة، وتقلل احتمالات حدوث أي تضارب في المستقبل بين التوجهات التنموية وحماية معالم التراث العمراني السياحي بالمدينة بالإضافة إلى ذلك فإنه يمكن إدخال تعديلات في تصميم المشروعات بحيث يمكن تفادي أو تقليص الآثار البيئية

	لمدينة تعز القديمة ناتج عن القصور في الأطر القانونية والإدارية واليات تنفيذها، وغياب الاخذ بالإجراءات الخاصة بالمراجعة البيئية، وعدم اشراك المجتمع المحلي في تقييم المشروعات، بالإضافة الى نقص الكادر البشري المؤهل، وعدم كفاءة الكادر الموجود، وضعف القدرات الإدارية، وعدم صرف الحوافز المالية، وتفويض السلطة غير المناسب، فضلا عن ضآلة الموارد المخصصة لبناء القدرات. وهذا يعني أيضا وضع مؤشرات لقياس التغيرات في البيئة العمرانية، وهذا بدوره يمكن أن يطبق أيضا قياس كفاءة الأداء للأساليب والإجراءات لعملية التقييم البيئي (الشميري، 2013، 34).	السياسات والمخططات المحلية للمدينة التراثية. - الاخذ بمبدأ تقييم الاثر البيئي لمشروعات التنمية لحماية واستدامة الهوية التراثية لمدينة تعز القديمة. من خلال تطبيق نموذج التقييم البيئي المقترح في هذه الدراسة.		السلبية التي يشير إليها تقييم الأثر البيئي في المدن التاريخية على مستوى العالم وتأسيسا على ما تقدم ، يمكن اقتراح نموذج يحتوي على قائمة مرجعية من الخطوات تشكل نموذج للتقييم البيئي لمدينة تعز القديمة وهي عبارة عن أسئلة يمكن من خلالها معرفة مدى قدرة المشروع على الاستدامة البيئية لمدينة تعز القديمة التي يمكن أن يقام بها المشروع المقترح، والتي يجب على مقترح المشروعات الالتزام بها والعمل على التقييم البيئي للمشروعات العمرانية المقترحة عن طريقها، ويجب على السلطة المحلية تذليل الصعاب والتعقيدات التقنية للتقييم البيئي أو برامج الرصد. كما لابد من وضع نظاما للمراجعة البيئية الذي يوضح البدائل للوصول إلى بيئة تراثية نظيفة، وهذا التقييم البيئي بسيط للغاية ويوفر تحذير للمجتمع بالأضرار الذي يلحق بالبيئة بسبب التنمية، وهذه الخطوات يصفها الجدول في رقم (4) محتويات نموذج التقييم البيئي لمشروعات التنمية في البيئة التراثية بمدينة تعز القديمة. - ولإيجاد طريقة بديلة تعطي مؤشرات لإمكانية الحياة في مدينة تعز القديمة. ينبغي تقديم نظرة عامة للوضع البيئي القائم من أجل وضع المشروع في مكانه الصحيح من وجهة النظر المحلية والإقليمية Glasson, J., 2005)). والجدول (5) يبين ذلك بالتفصيل.
المشكلات العامة من وجهة نظر السكان المحليين.	- تدنى المستوى العمراني لأغلب المباني القديمة وتهدم اغلبها واستبدالها بمحال تجارية، وعدم التجانس الواضح بين المباني القديمة والجديدة والتي تنشأ دون أي مراعاة للقيم المعمارية والسمة التراثية المميزة بالمدينة. - افتقار هذه المواقع إلى المساحات الخضراء	- يقترح السكان بان عملية الحفاظ على المباني التاريخية ستكون فعالة وذات جدوى، إذا ما تم دمج تطوير النسيج التاريخي مع جهود الحفاظ، لتكون وحدة واحدة، وفق خطة شاملة لتعزيز النوعية الطبيعية والتماسك الحضري الخاص بالنسيج التاريخي كمصفوفة متكاملة.	**تحديث المخططات التنظيمية القائمة لاستعمالات الأراضي وتجديد شبكة الخدمات الاساسية والسياحية.**	يوجد الكثير من الخلط في الخدمات ما بين سكني وتجاري ضمن منطقة وسط المدينة كما أن استعمالات الأراضي القائمة لا تعكس ما هو على المخططات ولا تراعي خصوصية وسط المدينة ولا تساهم في عملية الحفاظ على المباني التاريخية. مما يفرض إعادة النظر بالمخططات

	والساحات الرئيسية، وضيق عروض الشوارع والممرات في أماكن الحركة وعند مداخل المباني التراثية. - تدني مستوى النظافة وصعوبة التخلص المنتظم من القمامة والتي غالباً ما يتم إلقاؤها في الأماكن المهجورة حيث يتم التخلص منها بالحرق بنفس أماكن تجميعها وما ينتج عن ذلك من أخطار بيئية وصحية. - قدم وتهالك شبكة الخدمات الأساسية من الصرف الصحي والمياه والكهرباء والتليفونات في أجزاء متعددة من هذه الأحياء. - هنالك بعض العوائق التي تفصل القلعة عن المناطق التجارية وعن وسط المدينة القديمة وتتمثل هذه العوائق بالمباني العشوائية التي تفصل القلعة بصرياً وتجارياً وعدم استغلال النفق الذي اكتشف حديثا والذي يربط المدينة القديمة عبر جامع الاشرفية بقلعة القاهرة. - غياب المشاركة المجتمعية في التنمية العمرانية والحفاظ الأثري، وضعف الوعي الشعبي بأهمية تلك المعالم، فضلاً عن الآثار السلبية للعوامل الطبيعية، الأمر الذي يعرضها للتدمير والاندثار.			التنظيمية القائمة بحيث يتم تحديد منطقة تاريخية لها خصائصها تشمل تصميم المسار السياحي الرابط بين المدينة القديمة وقلعة القاهرة والمناطق المجاورة والتي لها علاقة بالقلعة، ومناطق ذات استعمال مختلط تهدف إلى زيادة التطوير الاقتصادي، ومناطق سياحية على علاقة بالمنطقة التاريخية والمناطق السكنية. - تجديد شبكة الخدمات الاساسية في المدينة. - مراعاة السمة التراثية عند البناء الحديث داخل المدينة القديمة. - تدعيم دور القلعة ورفع مستوى البيئة حولها، وربطها بشكل أكثر فاعلية مع بقية المدينة وبالتالي هنالك ضرورة ملحة للاستفادة من المباني التراثية كأماكن لنوم السياح، وذلك من خلال توفير نمط من تسهيلات الاقامة الملائمة لمجموعات صغيرة من السياح، ونظراً لاكتظاظ المدينة القديمة، فإن بناء أية فنادق كبيرة لابد وأن يكون خارج المدينة القديمة. وإذا ما تم تطويرها سوف تعمل على إيجاد مصدر قوي للسياحة على مستوى المحافظة.

المصدر: الباحث بالاعتماد على نتائج الدراسة الميدانية مارس 2022م.

2- سبل الحفاظ على التراث العمراني في مدينة تعز القديمة

تبين مما تقدم أن بيئة التراث العمراني في المدينة القديمة تتعرض للتدهور بشكل مفرط نتيجة لعوامل التغيير البيئية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، مما أفقدها شكلها ومضمونها من حيث طبيعة الوظيفة القائمة وجوهر النسيج العمراني ونظام التخطيط العضوي. لذا لا بد من اعتماد سياسات معينة بغية الحفاظ على هذا الموروث كونه المرآة المعبرة عن أصالة المدينة وتاريخها وهويتها.

وتمثل سياسة الحفاظ على الموروث العمراني من التلف والانهيار من أهم سمات العصر الحديث، وهي سمة ذات صبغة عالمية كون أن عملية الحفاظ على المناطق التراثية من الضرورات الملحة وهي جزء من عملية التخطيط الحضري. بمعنى تطوير المناطق التراثية وصيانتها مع إبقائها على أداء وظيفتها باعتبارها جزءًا من النسيج العمراني للمدينة ككل وليست جسماً غريباً منفصلاً ومعزولاً عن المحيط. ومن أجل الحفاظ على الموروث العمراني في مدينة تعز القديمة ينبغي إتباع عدد من السياسات والاجراءات العلاجية الأتية:

أ- إعادة البناء: وهي عملية إعادة بناء الأجزاء المندثرة للمباني التي لا يمكن ترميمها، على أن تحافظ عملية إعادة البناء المباني على سابق شكلها ورونقها، ويظهر في مدينة تعز أن هناك عدد من المواقع التراثية المتهدمة جزئياً في منطقتي باب الكبير والميدان بحاجة لإعادة بنائها تبعاً لهذه الطريقة وإن كانت بمواد بناء حديثة، ولكن ما يهم هو أن تحافظ على طرازها العمراني القديم أو أن تتم مزاوجته بطرز عمرانية حديثة.

ب- إعادة التطوير: يستهدف هدم وإزالة المباني المتهرئة الآيلة للسقوط، وبنائها مجدداً على وفق مخطط جديد يمكن من تفاعلها مع طبيعة استثمار المكان، وتطبيق عملية إعادة التطوير على نطاق محدود جداً في بعض المواقع ضمن الاسواق التقليدية فقط مثل سوق الشنيني وسوق الخبز بمدينة تعز القديمة وإعادة بناء هذه المواقع بطراز معماري يحاكي الماضي لكي تبقى المنطقة محافظة على أصالتها وقيمتها التاريخية، لكن واقع الحال يؤكد أن عملية إعادة التطوير ضمن الاحياء التقليدية في المدينة القديمة تمت من خلال تحويل صنف العقارات فيها من سكني إلى تجاري أو غيرها من الوظائف الأخرى، مما سيفقد المدينة أصالتها وتاريخها في المستقبل المنظور.

ج- الترميم: أي الحفاظ على الحالة العمرانية الراهنة للمبنى وليس من الضروري إعادة المبنى إلى نسخة مطابقة لحالته الطبيعية. ويهدف الترميم إلى تجسيد القيمة الشكلية وطراز المبنى من حيث التقنية ومواد البناء عبر الزمن، وإعادة النظر في الوظيفة حتى يتسنى للمباني غير المستعملة والمهجورة بما يتناسب وطبيعة المكان كي تصبح صالحة لأوجه الاستعمال المختلفة تماما كما حدث في ترميم باب موسى. وهنا ينبغي أن تتبع عدة خطوات أولها المسح الطوبوغرافي لحالة المبنى وتحديد قيمته التاريخية، ومواد البناء المستعملة في بناءه، ووضع خرائط تفصيلية لكافة المباني الموروثة، وتحديد المواصفات البنائية العامة التي يجب أن تلتزم بها كافة المواقع التراثية، فضلا عن المواصفات التفصيلية الدقيقة، وينبغي تدريب الكوادر المختصة في إجراء عملية الترميم. ولقد بينت الدراسة الميدانية (2022م)؛ أن هناك العديد من المساكن ذات البعد التاريخي التي هجرها سكانها وخاصة في حارات المظفر وباب الكبير وباب موسى وباب المداجر، كون تلك الحارات تمثل أساس نشأة مدينة تعز القديمة، وينبغي أن تدرس هذه المباني عن كثب ويتم التخطيط لترميمها وفقاً لما سبق وإبقائها تؤدي دورًا مضاعفًا كأن تكون مواقع صالحة للاستعمال وبحسب الوظيفة التي سيتم تحديدها، ومن ثم لتكون معلمًا حضاريًا مهمًا لمدينة تعز.

د- الصيانة: وذلك بإيقاف حالة الاهتراء ومعالجة الأبنية التراثية في المنطقة، من خلال تخطيط البيئة الحضرية التاريخية بأسلوب معين، مع الحفاظ على مدلولها الاجتماعي كونها تمس حياة السكان، لذا ينبغي المشاركة المجتمعية بين المخطط وسكان المنطقة ليقوموا بإصلاح بيوتهم وتوفير الخدمات الضرورية لهم، وبالتالي تحدث عملية صيانة المباني وحمايتها من التداعي، وفي الوقت ذاته يتم الحفاظ على قيمتها التاريخية، ولغرض إجراء صيانة شاملة للمساكن لا بد من إحداث عمليات توعية للسكان المستهدفين بالعملية، وتقديم المساعدات المالية للمعدمين منهم سواء كانت على شكل منح أو قروض لتشجيعهم على التفاعل واستدامة عملية الترميم.

هـ- إعادة التأهيل: بمعنى إعادة منطقة أو مبنى إلى مستوى أعلى من الكفاءة وإصلاح مرافقها، وتمكين المبنى من أداء وظيفته، وليس بالضرورة أن تكون الوظيفة التي يؤديها هي ذات الوظيفة التي أداها في السابق، بل أن تتماشى الوظيفة مع المحيط الوظيفي الذي تقع ضمنه. وفي الواقع هناك العديد من المباني ضمن المدينة القديمة التي يمكن إعادة تأهيلها لتصبح أكثر فائدة من ذي

قبل، مثل: الحمامات المهجورة وبعض المساكن التاريخية المهملة، هذه المباني تتطلب بعض إجراءات إعادة التأهيل لتصبح صالحة لأداء وظيفتها، أو أي وظيفة أخرى مناسبة شريطة إبقائها على وضعها المعماري الحالي على ما هو عليه، بغض النظر عن طبيعة المواد البنائية التي يمكن استخدامها في عملية إعادة التأهيل، إذ يمكن تحويلها إلى متاحف أو مراكز تجارية تقليدية، مما سيساهم في تنشيط السياحة الثقافية بالمدينة.

و – التهجين: والتهجين في الدراسات الحضرية يعني مزج الطرز العمرانية القديمة بالحديثة، إذ يعمل على إعادة الحياة للمنطقة التقليدية، مما يحقق استدامة حضرية وحضارية في آن واحد من خلال ربط القديم بالجديد والأصيل بالحديث، وإحداث حالة تواصل عمراني للقديم بالجديد مما يخلق استدامة عمرانية وتجعله صالح للسكن والمعيشة والعمل، مع المحافظة على القيمة الجمالية للمدينة وتحقيق التواصل عبر الزمن. ونظراً لتنامي ظاهرة غزو الطراز الحديث بشكل كثيف في مختلف حارات المدينة القديمة، إذ أن الكثير من سكان تلك الحارات عملوا على تهديم مساكنهم القديمة وأعادوا بنائها بطرز تتماشى مع حركة الحداثة العمرانية، أو قاموا ببيعها متناسين بذلك القيمة الفعلية لمساكنهم التي تم تهديمها. وعلية ينبغي إتباع سياسة تعنى بتعليم السكان السبل الصحيحة لعملية الهدم والبناء آخذين بعين الاعتبار مزاوجة الطرز المعمارية بين الماضي والحاضر.

3: سبل حماية واستدامة بيئة مدينة تعز القديمة.

تستخدم عملية التقييم البيئي للتأكد من أن أهداف السياسة البيئية العمرانية تؤخذ في الاعتبار في عملية صنع القرار، حيث لا يوجد تقييم بيئي خاص بالمدن التاريخية عند بعض الدول وغالبا ما يطبق بصفة عامة على مشروعات التنمية في المدن دون تمييز بين المدن التراثية وغير التراثية رغم خصوصية تلك المدن (الجندي، 2008، 90). ولذلك هناك حاجة لتطوير السياسات البيئية في مدينة تعز القديمة، هذه السياسة يمكن أن تستند على مفهوم المدن الصحية، ومبادئ التنمية المستدامة، كما تستخدم عملية التقييم البيئي للتأكد من أن أهداف السياسة البيئية لمدينة تعز القديمة التي تم تنفيذها قد حققت الأهداف، وهذا يؤدي إلى اتخاذ القرارات الصحيحة التي تتمثل بتنوع الوظائف في الاحياء السكنية، والأسواق ضمن المدينة، كما يتم إصدار القرارات الخاصة بارتفاع المباني وطابعها، ومواقع مواقف السيارات، وفراغات الأزقة والشوارع، والساحات في الاحياء بالمدينة، وأخيرا قرارات الحفاظ على الابنية التراثية الهامة في المدينة.

وتأسيساً على ما تقدم، يمكن اقتراح نموذج يحتوي على قائمة مرجعية من الخطوات تشكل نموذج للتقييم البيئي لمدينة تعز القديمة وهي عبارة عن أسئلة يمكن من خلالها معرفة مدى قدرة المشروع على الاستدامة البيئية للمدينة التي يمكن أن يقام بها المشروع المقترح، والتي يجب على مقترح المشروعات الالتزام بها والعمل على التقييم البيئي للمشروعات العمرانية المقترحة عن طريقها، ويجب على السلطة المحلية تذليل التعقيدات التقنية للتقييم البيئي أو برامج الرصد. كما لابد من وضع نظاما للمراجعة البيئية الذي يوضح البدائل للوصول إلى بيئة تراثية نظيفة، وهذا التقييم البيئي بسيط ويوفر تحذير للمجتمع بالأضرار الذي يلحق بالبيئة بسبب التنمية، والجدول (4) يبينها.

جدول (4) نموذج التقييم البيئي المقترح لمشروعات التنمية في بيئة مدينة تعز القديمة.

م	الخصائص	اشكال التقييم البيئي لمدينة تعز القديمة
1	خصائص الأراضي واستخداماتها في البيئة التراثية لمدينة تعز القديمة.	- هل سيؤدي المشروع إلي تغيير فيزيائي كبير في موقع المشروع أو سيحدث تغيير لخصائص الموقع من طبوغرافيا وخصائص ثبات التربة أو القابلية للنحر والانزلاق؟ - هل المشروع بالكامل أو في جزء منه واقع داخل أو مجاور لأية اراضي عامة أو أرض فراغ مخصص مفتوح؟
2	طابع البيئة التراثية في مدينة تعز القديمة والمناظر الموجودة بها.	- هل سيؤثر المشروع على شكل الارض او الطابع التراثي والاجتماعي لمدينة تعز القديمة أو على أية مناظر طبيعية أو مشاهد تعرف بأهميتها للمجتمع؟
3	الآثار والمواقع الأخرى ذات الأهمية التاريخية والثقافية في مدينة تعز القديمة	- هل سيؤثر المشروع على اي منشا او موقع مدرج او مرشح للإدراج في السجل الوطني للأماكن التاريخية؟ - وهل سيساعد المشروع على إيجاد هوية ايجابية لمدينة تعز القديمة؟
4	المياه بما فيها الهيدرولوجيا والمياه الجوفية ونوعية المياه في المدينة القديمة	- هل سيغير المشروع فيزيائيا او يسبب اي مساهمه مؤقته أو دائمة برواسب أو ملوثات أخرى للمياة؟ - هل سيكون للمشروع أثر كبير على جودة المياه الجوفية؟
5	المرافق وعناصر البنية الاساسية في مدينة تعز القديمة.	-هل سيؤثر المشروع بشدة على البنية التحتية في المدينة؟ -هل سيشعر السكان بالأمان في المدينة وخاصة المشاة؟
6	نوعية الهواء في المدينة القديمة	- هل سيؤدي المشروع إلى أثر سيء كبير على جودة الهواء؟
7	الموارد الطبيعية في المدينة القديمة	- هل يقع المشروع في منطقة إدارة او حماية موارد طبيعية كما يحددها دليل ادارة الحفاظ والتراث الخاص بالمدينة؟
8	البنية الأساسية للنقل بالمدينة القديمة	- هل سيؤدي المشروع إلى قصور مروري كبير او تاثير كبير على نظم النقل، أو على شبكات الطرق الحالية داخل مدينة تعز القديمة؟
9	مستويات الضوضاء والتلوث البصري في مدينة تعز القديمة	- هل سينتج عن المشروع بصورة دوريه روائح، او ضوضاء، أو اهتزازات أو تداخل كهربي غير مقبول، نتيجة لتشغيل المشروع؟ هل سيؤثر المشروع على فقدان الهوية المعمارية والطابع العام المميز للمدينة؟
10	الوضع الاجتماعي والاقتصادي في مدينة تعز القديمة	- هل سيكون للمشروع اي اثر على الصحه او الامن داخل مدينة تعز القديمة؟ - هل سيكون للمشروع أثر سلبي على شخصية مدينة تعز القديمة وسكانها؟ - هل هناك اعتراض حول المشروع؟ وهل المشروع سيحسن من نوعية حياة السكان في هذه المدينة؟، وهل المشروع سيحسن مستوى دخل السكان؟
المصدر :إعداد الباحث بالاعتماد على: (الجندي، 2008) و (الشميري، 2013)		

ولإيجاد طريقة بديلة تعطي مؤشرات لإمكانية الحياة في مدينة تعز القديمة. ينبغي تقديم نظرة عامة للوضع البيئي القائم من أجل وضع المشروع في مكانه الصحيح من وجهة النظر المحلية والإقليمية (Glasson, J., 2005). ومن المهم اعداد قاعدة معلومات تفصيلية للعناصر المهمة في الاستدامة البيئية داخل مدينة تعز القديمة، ويلزم أن تكون البيانات ذات صلة موضوعية بالحفاظ والتنمية المقترحة وأن يكون مستوى التفاصيل المدروسة متناسباً مع مستوى أهمية الموضوع وصنع القرار، ولكي تكون الطريقة البديلة أسهل في القراءة، فإنه من المنطقي أن تقدم التفاصيل التخصصية لكل عنصر من عناصر الدراسة، وتطبق هذه الطريقة بحيث يمكن فهمها واستخدامها من قبل الجمهور، مما يسهل مناقشة ومشاركة الجمهور في عملية التقييم البيئي للمدينة القديمة، وطريقة التقييم البديلة يمكن تسميتها" الخصائص العامة كأسلوب لمراقبة الآثار البيئية "، و يعتمد هذا التقييم على الخصائص الجمالية للمدينة والتي تعطي مؤشرات لنوعية الحياة بها. والجدول (5) يبين ذلك.

جدول (5) الاسلوب المقترح لمراقبة الآثار البيئية للمشاريع التنموية في المدينة.

م	النوع	الوصف
1	التنوع بالمدينة القديمة	تنوع وظائف الشارع، وتنوع الوظائف داخل المباني، ونوع وعدد السكان، وأنواع وأعداد الأنشطة التجارية، والمطاعم، والكفتريات والمقاهي الشعبية، وحجم المباني، وكثافة المباني، وعدد المباني غير المشغولة.
2	الجوانب المرورية في المدينة القديمة	عدد وسرعه المركبات ذات المحركات الكبيرة، ونوعيه حركة المرور، وسهولة حركة المشاة وراكبي الدراجات وسهولة الوصول بوسائل النقل العامة، وسهولة الوصول بالنقل الخاص، وتوفر أماكن وقوف السيارات.
3	الجوانب الجمالية والتاريخية	صيانة المباني، وجود النفايات في مواقع البناء والاماكن المفتوحة، وصيانة الشوارع والأرصفة ووجود اشارات ولوحات إعلانات، وشكل تمديد الأسلاك الكهربائية والتلفونات، ووجود أعمال فنية في المنطقة التاريخية، وجود أثاث بالشوارع يعكس الهوية التاريخية والمعمارية للمدينة، وجود مناظر بانوراميه بمدينة تعز القديمة.
4	تنظيم واشتراك السكان المحليين	الأنشطة المحلية. تكييف البيئة وفقا لحاجات الأفراد.
5	البساتين، وجود الماء، والربط مع الطبيعة بالمدينة	وجود البساتين الخاصة، والتداخل مع المباني، وإمكانية وجود فراغ اجتماعي عام، والوصول للبنية التحتية العامة، وجود وأمكانيات التفاعل مع الطبيعة وغرس الاشجار بواسطة الملاك والمستخدمين.
6	افرد المجتمع بمدينة تعز القديمة	التنوع بحسب العمر، والتنوع بحسب فئاتهم وطبقاتهم وأنماط حياتهم، والأنشطة الاجتماعية في الشارع.
7	الامن والامان في المدينة	وجود اجراءات حمايه ضد السرقات، والضبط الاجتماعي غير الرسمي وبالأخص في الأسواق التقليدية.
المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على نتائج الدراسة الميدانية مارس 2022م		

4. المواقع والمشاريع المقترحة لاستثمار بيئة التراث العمراني في المدينة القديمة سياحياً.

تم تحديد المشاريع والمواضع ذات الأولوية بناءً على معايير وأولويات تطوير مناطق ذات أهمية سياحية تعمل كنقاط داعمة لإظهار الطابع العمراني التاريخي والسياحي للمدينة شكل (8) ويمكن ترتيب المشاريع والمواقع كالتالي:

الشكل (8) مشاريع ومواقع التطوير ذات الأولوية في المدينة القديمة

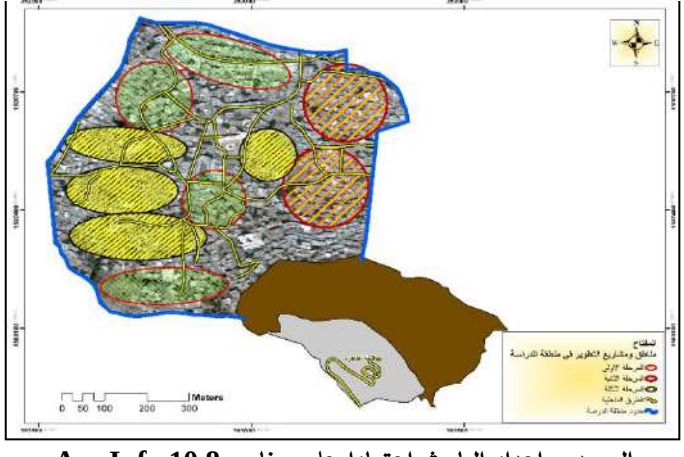

المصدر: إعداد الباحث اعتمادا على برنامج Arc Info 10.8

أ- مواقع ومشاريع المرحلة الأولي:

- مشروع تطوير المنطقة المحيطة بقلعة القاهرة.

يعد هذه المشروع من اهم مشروعات التطوير المقترحة بالمدينة القديمة، حيث يتم إعادة الطابع التاريخي للمنطقة المحيطة بالقلعة، وتشمل عملية التطوير الاتي:

- ازالة بعض الأبنية القائمة الملاصقة للسور الغربي لقلعة القاهرة، صورة (4).
- انشاء ساحة عامة تستعمل في تنفيذ النشاطات وتقديم العروض والفعاليات الثقافية والترفيهية.
- إعادة تأهيل الأبنية الاثرية في القلعة ومحيط القلعة، وربطها مع المواقع ذات الطابع التراثي المحيطة بها، واستخدامها للأنشطة الترويحية والسياحية.
- تصميم جداريات على المباني التي سيعاد تأهيلها، لتحكي قصة مدينة تعز التاريخية.
- تعويض المواطنين الذين سيفقدون مساكنهم، ماليًا أو منحهم اراضي للبناء خارج المنطقة الاثرية.

صورة (4) المباني العشوائية الملاصقة لحرم قلعة القاهرة وثكنة السراجية.

- مشروع ترميم وإعادة تأهيل السور الغربي وثكنة السراجية.

يهدف هذا المشروع الى ترميم وتأهيل الاجزاء المتبقية من السور الغربي للمدينة القديمة وما يحتويه من ثكنات عسكرية أثريه، مثل ثكنة الجند المسماه بثكنة السراجية، وتوفير ممرات خاصة للمشاة، تستخدم لتسيير الافواج السياحية والزوار حول المدينة والتمتع بمشاهدة معالمها الاثرية.

- مشروع تطوير سوق (الشنيني) الشعبي (شمال المدينة القديمة من باب الكبير شرقا إلى باب موسى غربا).

يعتمد تنفيذ المشروع على تطوير المنطقة التجارية بالجزء الشمالي من المدينة القديمة، وترميم المباني الأثرية في هذا النطاق، وإنشاء استراحة ضمن أحد الأبنية التراثية فيها، حيث ان هذه المنطقة منفصلة عن الاحياء السكنية بالمدينة، وبالتالي يمكن إعادة استخدامها للأنشطة السياحية.

ب- مواقع ومشاريع المرحلة الثانية:

- مشروع تطوير إدارة السير وإنارة الشوارع وأنظمة تصريف القمامة في المدينة.

يتمثل هذا المشروع في تطوير نظام إدارة السير في شوارع المدينة القديمة، وتقليل عدد المركبات التي تدخل الى وسط المدينة، وجعل وسط المدينة آمناً لحركة المشاة فقط، وتنظيم حركة المرور للمركبات والركاب، من خلال انشاء مواقف للمركبات والحافلات والركاب، يتم تصميمها وتنفيذها لحل المشاكل الخاصة بالتحميل والتنزيل للسياح ولسكان المنطقة ضمن الموقع المستغل حاليا، والمعروف بموقف (فرزة) باب الكبير للحافلات والركاب، شرق المدينة القديمة.

- مشروع إنشاء إدارة تطوير المدينة القديمة.

تشكيل إدارة للمدينة القديمة، بحيث تعتمد عملية الإدارة على فكرة مشاركة القطاع الخاص في عملية الاستثمار، والاعتماد على مبدأ الاستدامة، اذ يتم تمويل صيانة وتطوير وإدامة المشروع المقترح، من خلال العوائد المالية المترتبة على استثمار المباني الواقعة ضمن الموقع المقترح، وهو توجه حديث بدأت كثير من دول العالم بإتباعه والعمل به عند تطوير مدنها القديمة.

- مشروع إعادة تأهيل الأبنية التراثية القائمة ضمن النسيج الحضري.

يتم حصر الأبنية ذات الطابع التراثي، وتحديد درجة أولوية الحفاظ عليها، بالإضافة إلى تحديد الاستعمال والوضع الحالي لهذه الأبنية، والاستعمال المقترح، وتحديد مجالات وأساليب التمويل التي يمكن العمل من خلالها، وترميم مجموعة من المباني التراثية وإعادة استخدامها للسكن، بهدف إظهار هذه المباني، لما لها من أهمية تاريخية بالنسبة لأسر تعز، وكنموذج عن مباني تعز القديمة.

ج- مشاريع المرحلة الثالثة:

- مشروع المسارات السياحية "مسار ملوك بني رسول".

تهدف هذه المسارات إلى التعريفٌ بالمدينة القديمة وعرض ما يمّكن أن تقدمه المدينة من غنى ثقافي وتراثي وحضاري للسائحين وزوار المدينة. إضافة لإطالة فترة إقامة السائح بحيث يتّم تقديمٌ شيءً جديد له في كل مسار أو يخّتار السائح ما يريد (أبو ليله، وفوده، 2017،390). وبما يتّوافق مع اهتماماته العلمية والثقافية والفنية.

ويتكون هذا المسار المقترح من ثلاثة مسارات رئيسة، هي: مسار شرقي، ومسار غربي، ويرتبطان بالمسار الشمالي بباب الكبير وموسى عبر سوق الشنيني الشعبي، بفرعية الشرقي ويبدأ من باب الكبير شرقاً مروراً بسوق الخبز الى جامع المظفر، وصولا الي جامع الأشرفية ومنه عبر درج حجري الى قلعة القاهرة جنوب المدينة. وأما فرعه الغربي، فيبدأ من باب موسى مرورا بقبه الحسينية، ثم جامع المتوكل، ثم جامع عبد الهادي، ثم مدرسة المعتبية، وصولا الي ثكنة السراجية غرب المدينة. ويتم البدء بتنفيذ هذا المشروع من خلال تمويله وتحويل الشارع إلى شارع للمشاة، ومنع دخول المركبات الآلية، لما يتميز به هذا الشارع من وجود العديد من المعالم التراثية، ولما له من أهمية في ربط المواقع السياحية المختلفة في المدينة بقلعة القاهرة وثكنة السراجية.

شكل (9) مشروع الطريق السياحي (ملوك بني رسول) بالمدينة القديمة.

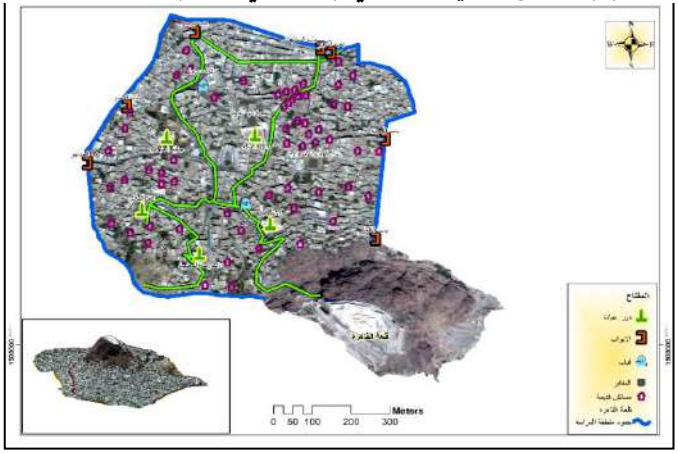

المصدر: إعداد الباحث اعتماداً على مجموعة برامج Arc Info 10.8

- مشروع إعلان المدينة القديمة كمحمية تراثية.

تقوم الجهات المختصة بإعلان مدينة تعز القديمة، كمحمية تراثية محلية، يصدر بها قانون محلي، يمنع هدم ما تبقى من السور وغيره من معالم التراث العمراني، وترميم المنازل القديمة ومعالم التراث العمراني، وبما يحافظ على هويتها التاريخية وقيمتها السياحية، مع مراعاة انسجام وترابط نسيجها مع النسيج العمراني الحضري للمدينة الحديثة.

الشكل (10) مقترح حدود المدينة القديمة كمحمية تراثية.

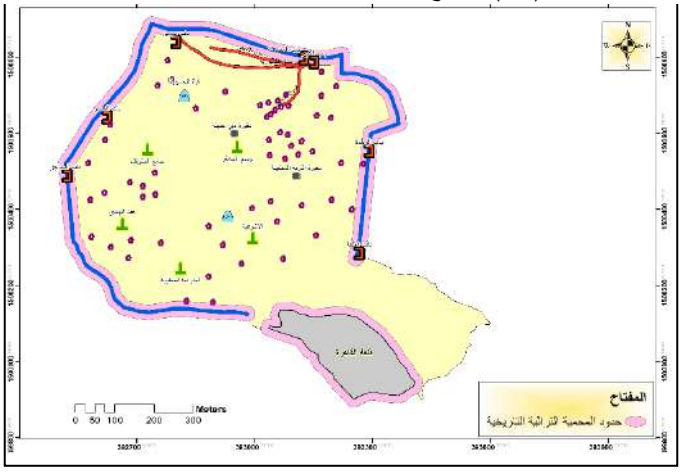

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على برنامج Arc Map 10.8.

الخاتمة:

1- نتائج الدراسة:

تناولت الدراسة تقديم صورة واضحة لصانعي القرار عن تطوير بيئة التراث العمراني لمدينة تعز القديمة والاستفادة من الإمكانيات التراثية المتاحة والكامنة فيها لإيقاف أي تخريب قد يؤثر على هويتها التراثية كموارد لتنمية بيئة حضرية سياحية أكثر استدامة من خلال تقييم وتحليل الواقع الراهن وتحديد المعوقات والمشاكل واقتراح آلية للتطوير وسبل الحفاظ وخطة للحماية والاستدامة البيئية والهوية التراثية.

وتتميز بيئة المدينة القديمة، بتكوينها المنسجم مع طبيعة ارضها، اذ تتوزع احيائها في مناطق مختلفة طبوغرافيًا، حيث تتسم طبوغرافية المدينة القديمة، بأنها غير مستوية ومعقدة التضاريس، ويغلب عليها الانحدارات والارتفاعات، نتيجة لوقوع المدينة على سفح جبل صبر، مما انعكس ذلك على مخطط المدينة الذي يتماشى تلقائيًا مع خطوط الكنتور، ويتلاءم بشكل واضح مع طبوغرافية المكان، مما يؤكد بان اختيار موضع المدينة كان مدروسًا ومخططًا، مما شكل تكويناً متنوعاً يكسبها هويه تراثية فريدة، وانموذجاً تخطيطياً متآلف مع سمات الموضع ومستغل لخصائص الموقع المختلفة.

وتتمتع المدينة القديمة بهوية معمارية متميزة، جاءت كنتيجة طبيعية لتكامل عدد من العوامل، التي اسهمت في تشكيل هذه الهوية المتفردة، حيث يظهر النسيج العمراني، تراكم بيئات وثقافات متعددة، عكست كل منها شخصيتها الخاصة (الأيوبيين، الرسوليين، العثمانيين،...الخ). وبرغم من هذا التراكم، الا انها ظلت طيلة مراحلها التاريخية محافظة على بنيتها التكوينية، وأدوارها الوظيفية،

بدءً بالرسوليين، فالطاهريين، ومروراً بالعثمانيين، وانتهاء بدولة الأئمة الزيديين، وفق سياسة اتبعها حكام تلك الدول والممالك، لأغراض سياسية، ترتبط بالقدرة على السيطرة على المدينة، وتحصينها والدفاع عنها، وأغراض اقتصادية، واجتماعية، ترتبط بكفاية الموارد والخدمات.

ويتميز نسيج المدينة القديمة بعناصر تراثية سياحية محددة، أهمها: المسجد الجامع، المساجد، المدارس الدينية، الميادين والساحات العامة، الفراغات المفتوحة، الشوارع الرئيسة والفرعية والأزقة الضيقة، الأسواق الشعبية، المساكن والبساتين، الأبواب والحصون، الأضرحة والمقابر، فضلاً عن ان نظام التقسيم في النسيج العمراني، أدى إلى تكون أقسام عديدة متفاوتة الحجم والمساحة، بسبب تعدد الاستعمالات والأشكال والأحجام الممتزجة معاً، والذي يفصلها شبكة من الشوارع، التي حدد عرضها تبعاً لحجم الحركة فيها، حيث يعبر الارتفاع المتوسط للمباني، والأحجام المتقاربة للمساكن عن خصوصية الأسرة، والمحافظة على حق الجوار، فعلى مستوى الحارات، يبدو التجانس الاجتماعي مع التفاوت الاقتصادي، كما تتساوى المباني في الارتفاعات، للحفاظ على حرمة الجوار، وتتلاحم في كتلة بنائية واحدة، لا يرتفع عنها في الغالب، إلا مآذن المساجد.

وتعد المميزات التاريخية والعمرانية والوجدانية لمدينة تعز القديمة مصادر جذب للاستثمار والسياحة يمكنها المساهمة بشكل كبير في تطوير القطاع الاقتصادي في المدينة بشكل خاص وفي تعز الحديثة بشكل عام. كما يمكن الاستفادة من ربط المواقع التاريخية الهامة المحيطة في المدينة القديمة وبمدينة تعز الحديثة، للتركيز على اجتذاب السياحة وبناء خدمات لهذا القطاع التي ستساهم في توفير الدخل وخلق فرص العمل، كما سيساهم في تشجيع القطاع الخاص للاستفادة منها.

وتعود ملكية غالبية المباني التراثية في المدينة القديمة للمواطنين، وبالتالي فان أية قرارات يتم اتخاذها لتطوير المدينة يترتب عليها حقوق للسكان المالكين، بالإضافة إلى عجز المالكين من القيام بمشاريع تطويرية متميزة نظراً لصغر حجم ملكياتهم وتعدد أصحابها، بالإضافة الى رفض بعض ملاك المباني التراثية من إعادة تأهيل مبانيهم والحفاظ عليها بوضعها الحالي، نظراً لضآلة المردود المادي لهذه الأبنية، بالرغم من تفاقم تدهور الحالة الإنشائية للمباني التراثية وتهدم عدد كبير منها، نظراً لإهمال أعمال الصيانة الدورية والترميم الجيد.

وتتأثر عملية تطوير وتأهيل المدينة القديمة بالنواحي المالية بشكل رئيسي، سواء في قدرة المجلس المحلي على القيام بتوفير الخدمات، وتمويل المشاريع، أو تأهيل الكوادر ووضع الاستراتيجيات، أو في التنسيق والتعاون مع الجهات المعنية عن التطوير الخدمي والسياحي.

وتعاني مدينة تعز القديمة من مشاكل وتحديات كثيرة، حيث تأثرت بسرعة التطور والحداثة، وعانت منذ عقود من الإهمال، إضافة إلى الأوضاع العسكرية والسياسية والأمنية والاقتصادية الصعبة؛ إذ فقدت الكثير من عناصرها المعمارية التاريخية ومميزاتها الاجتماعية، كل هذا أصبح يشكل تهديدا على هويتها وتراثها. نظرا لانتشار الملوثات الهوائية والمائية والبصرية والضوضائية والنفايات؛ التي تعد من أهم اسباب تدهور بيئتها، وانهيار النظام الصحي وانتشار الامراض الوبائية التي تصيب سكان المدينة. وغالبا ما نجد أن معظم المشاكل البيئية في مدينة تعز القديمة ناتج عن القصور في النظم واللوائح القانونية والإدارية واليات تنفيذها، وغياب الاخذ بالإجراءات الخاصة بالمراجعة البيئية، وعدم اشراك المجتمع المحلي في تقييم المشروعات، بالإضافة الى نقص الكادر البشري المؤهل، وعدم كفاءة الكادر الموجود، وضعف القدرات الإدارية، وعدم صرف الحوافز المالية، وتفويض السلطة غير المناسب، فضلا عن ضآلة الموارد المخصصة لبناء القدرات.

وقد كان الهدف الرئيس من الالية المقترحة لتطوير وحماية بيئة التراث العمراني في مدينة تعز القديمة، هو اقتراح سياسة ورؤى جديدة شاملة ترتقي بالبيئة العمرانية والاجتماعية والاقتصادية والسياحية والخدمية للمدينة، وتحسين نسيجها العمراني وربطه بالنسيج الحضري للمدينة الحديثة وسبل الحفاظ عليه، وتوفير فرص اقتصادية لتطوير السياحة فيها، حيث تم تحديد المشاكل التي تواجه عملية التطوير، واقتراح السياسات والاساليب والحلول المناسبة لها جدول (3) وطرق الحماية والاستدامة البيئية في جدول (4) وجدول (5)، وتم تحديد أهم مواقع التطوير ونوع المشاريع لكل موقع، مما سيكون له اسهاماً كبيراً في تطوير بيئة المدينة وتراثها العمراني.

ويظهر التشخيص الدقيق للواقع البيئي في مدينة تعز القديمة المشكلات البيئية والتحديات الماثلة وضرورة التعامل الجاد معها وفق استراتيجيات وخطط وسياسات واضحة وعاجلة، حيث أن لهذه المدينة طبيعة خاصة مختلفة عن المدينة الحديثة. فالهدف الرئيسي لطرق الحماية والاستدامة المقترحة لبيئة مدينة تعز القديمة هو جعل الاعتبارات البيئية تدخل ضمن عملية اتخاذ القرار، ولذلك يجب على الجهات الرسمية أن تقوم بتحقيق التكامل بين التقييم البيئي وبين عمليات التخطيط العمراني التنموي في المراحل المبكرة، وسوف يضمن ذلك أن التخطيط العمراني والقرارات التنموية تعكس قيما بيئية وتتجنب أي تأخير أو تعقيدات اجرائية قد تحدث بعد ذلك في عملية التنمية ضمن مدينة تعز القديمة، وتقلل احتمالات حدوث أي تضارب في المستقبل بين التوجهات التنموية وحماية بيئة التراث العمراني بالمدينة وتحقيق الاستدامة البيئية لتراثها بأقصر وقت وأوفر جهد وأقل كلفة، وبنهج تشاركي مع المجتمع المحلي ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسات الرسمية.

2- توصيات الدراسة:

أ- التوصيات الفورية.

- إعلان المدينة القديمة بحدودها الحالية كمحمية تراث إنساني (شكل 10) في هذه الدراسة.
- الوقف الفوري للتعديات العمرانية المتمثلة في المباني العشوائية بمحيط قلعة القاهرة، واستخدامه في بناء مدرج، يستخدم كمسرح مفتوح لإقامة المهرجانات الفنية والثقافية، كمثل مقترح: (مهرجان ذي عدينه الثقافي والفني الدولي).
- إعداد آلية مناسبة لتعويض المواطنين الذين سيتم ازالة مبانيهم التي بنيت في حدود المواقع التراثية ماليا من خلال التعاون مع المنظمات الدولية المانحة والمهتمة بحماية الارث الانساني.
- الحفاظ على ما تبقى من سور المدينة، من الناحية الجنوبية والغربية، بين قلعة القاهرة وباب النصر، وامتداد السور في ناحية ثكنة السراجية، كمناطق حفاظ خاصة.
- تحديد المعايير الخاصة بحماية المباني، وإعادة ترميمها، والمعايير الخاصة بتصنيف المقاولين العاملين في مشاريع الحفاظ على المعالم التراثية وتأهيلهم.
- الاهتمام بالوسائل التوضيحية والإرشادية بالمدينة القديمة. فالهدف منها إرشاد الناس ولاسيما زوار المدينة، وذلك بتعريفهم بأقسام ومناطق المدينة المختلفة (تاريخية، سياحية.. الخ)، بحيث تزود الزوار بجميع المعلومات اللازمة لكي يستطيعوا التنقل بين أجزاء المدينة المختلفة بيسر وتسهل عليهم الوصول للهدف المطلوب، وينبغي أن تكون بعدة لغات ومعلومات منوعة، وذلك من خلال تزويد اللوحات الإرشادية بوسائل تكنولوجية حديثة بشكل مرئي، ويمكن أن تكون الشاشات تعمل باللمس ومدمجة مع عرض فيديو أو موسيقى إضافة للخرائط الإلكترونية.

– يقوم المجلس المحلي لمديرية المظفر بعقد اتفاق مع الأهالي بالحفاظ على هذه المباني بوضعها التراثي وعدم الإضرار بها، مقابل القيام بعمليات التأهيل والترميم من قبل السلطة المحلية للمديرية من خلال تعاونها مع المنظمات الدولية المانحة.

– تنمية عدد من معالم التراث، وتحسين طريقة عرضها بأساليب نوعية، وتطوير أساليب عرض جديدة، واستخدام التقنية الحديثة، وإدخال عنصر التشويق لجذب انتباه الزوار وتحقيق رضاهم، ومن هذه المواقع: (قلعة القاهرة) و (ثكنة السراجية) والأسواق الشعبية، وورش الحرف التقليدية مثل (سوق الشنيني)، ومباني التراث العمراني(المنازل) المملوكة للأفراد.

– توظيف الساحات والفراغات الموجودة بالمدينة القديمة، بعمل جداريات لشخصيات تاريخية أثرت ايجابياً في المدينة.

– تخفيض حدة الازدحام المروري أمام الباب الكبير وباب موسى، من خلال بناء مواقف للسيارات ذات طوابق متعددة والاستفادة من تجارب الاخرين في هذا المجال.

– استخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد، في توثيق معالم التراث العمراني السياحي، وإنتاج دليل أثرى رقمي لمعالم المدينة القديمة.

– إعداد خطة لرفع الوعي البيئي لسكان مدينة تعز القديمة وتعميق مفاهيم حماية البيئة لديهم وجعل اعتبارات الحفاظ على البيئة اولوية اولي بالنسبة لهم، لتتماشى مع المتطلبات البيئة، وتعالج المشاكل المتفاقمة في المدينة القديمة، من خلال الاتي:

– نشر الوعي العام من خلال التسويق، وبرامج التوعية والتعريف المتطورة، وتنفيذ مجموعة من الاعمال التوعوية لتصحيح النظرة السلبية لدى البعض عن معالم التراث العمراني، ونبذ اطروحات الفكر الديني المتشدد والتي سيطرت على عقول كثير من الشباب في الوقت الحاضر بمدينة تعز، مما نتج عنه هدم عدد من الاضرحة والقباب القديمة.

- الحد من التلوث بأنواعه البصري والسمعي والهوائي خاصة التلوث الناتج عن احراق النفايات والتلوث الناتج عن عوادم السيارات ووسائل النقل العام، ومكافحة بعض العادات الاجتماعية السيئة مثل (التبول والتبرز) في الشوارع.

– توفير دورات المياه بشكل خاص في المناطق التجارية والمزدحمة ولاسيما في شمال ووسط المدينة، وذلك لخدمة وتوفير الراحة لزوار وسكان المدينة.

- اعداد خطة فاعلة للتخلص من النفايات سواء كان مصدرها منزلي أو صناعي، وتنظيم وجمع وفرز واعادة استخدامها.
- تشكيل لجنة لضبط النفايات تقوم بتطبيق برنامج توقيع العقوبات، ثم تقوم بتوجيه المخالفين لأسلوب المعالجة بأسلوب علمي صديق للبيئة.
- الاستفادة من الطاقات المتجددة مثل الطاقة الشمسية على المستوي العمراني والمعماري وانارة شوارع المدينة ويمكن عمل تشكيلات بالإضاءة لكي تكون عناصر جمالية ذات جذب بصري لتجمل شوارع المدينة ليلاً.
- رفع الوعي البيئي لدى مختلف الفئات الاجتماعية في مدينة تعز القديمة من خلال حملات شعبية واسعة النطاق تستهدف المجتمع ودمج قضايا البيئة في المناهج التعليمية.

ب – التوصيـات العاجلة.

– تشكيل إدارة محلية خاصة لمدينة تعز القديمة تتكون من ممثلي الجهات الرسمية المعنية ومن ممثلي المجتمع المحلي، وتتمتع باستقلالية وصلاحيات واسعة عن ادارة مدينة تعز الحديثة، من حيث اتخاذ القرارات، وتحديد أماكن العمل، والتمويل المناسب، وإشراك المجتمع المحلي ورجال الأعمال والجهات المعنية والمهتمة بالحفاظ. وتكون هذه الهيئة ذات استقلال مالي وأداري، ولها صندوق خاص بها، وتقوم هذه الإدارة بالمهام التالية:

– إعادة النظر بالمخططات العمرانية ووضع معايير البناء والهدم والترميم واستعمالات الأراضي ووضع وتطبيق ألية لتقيم الاثر البيئي لاي مشروع او بناء داخل المدينة وبنتائج هذا التقييم يتم اتخاذ القرار بالموافقة او بعدم الموافقة.

– منح تراخيص البناء داخل المدينة ووضع الخطوط الإرشادية التي تساعد على تجانس بيئة المدينة ونمطها العمراني.

– نقل الحرف الضارة خارج البيئة التراثية للمدينة من خلال توفير البدائل لها.

– اقتراح وتطبيق الحلول المرورية الملائمة بالتعاون مع الجهات المختصة الرسمية والسكان المحليين.

– تنفيذ خطه لإدارة توعية المجتمع المحلي بالمدينة بأهمية التطوير والبدء بالمشاريع الصغيرة.

– الإشراف على مشاريع الاستثمار والاستخدام المستدام لمعالم التراث العمراني بالمدينة.

– تشجيع المواطنين للمساهمة بعمليات الترميم مقابل الحصول على الإعفاءات الضريبية.

– الاشراف على تنفيذ دراسة جدوى المشاريع التي ستنفذ والتي تم الموافقة عليها بعد الحصول على نتيجة ايجابي من تطبيق الية تقييم الاثر البيئي، والمتابعة والتقييم البيئي المستمر لها ومقارنتها بالجدوى التي تم الحصول عليها بعد التنفيذ.

ج – التوصيـات اللاحقة.

لتفعيل حماية واستدامة البيئة في مدينة تعز القديمة ينبغي اعداد أطر تشريعية وقانونية، ولائحة تنفيذية لتصنيف المشروعات العمرانية التي تحتاج إلى التقييم البيئي، وتعزيز المشاركة العامة، واعطاء مزيد من القوة إلى المحتوى البيئي، وبذلك يمكن إيجاز البرنامج الفعال لمعالجة المشكلات وحماية مدينة تعز القديمة وصولاً إلى تنمية مستدامة من خلال الاتي:

– اعداد أنظمة التقييم البيئي ومتطلبات القوانين للبيئة العمرانية التي تحتوي على منهج صارم.

– تشكيل لجنة تنظيمية لإعداد نظام التقييم البيئي للمدينة القديمة، على أن تقوم هذه اللجنة بعمل التنسيق والتوجيه، واعادة النظر في الواقع البيئي الراهن للمدينة وتطبيق ما ورد في الجدولين (4) و(5) من هذه الدراسة.

– تنسيق إعداد التقييم البيئي للمدينة القديمة واستعراض الأنشطة وصنع القرارات فيما بين المؤسسات الحكومية، والقطاع الخاص، والاستشاريون، والجمهور. وانشاء آليات رقابة الوضع البيئي ورقابة مدى التقدم في تحقيق التنمية المستدامة لمدينة تعز القديمة وعقد برنامج للأفراد للمساءلة عن نجاحها، واظهارها لعامة أفراد المجتمع المحلي.

– تشجيع وزيادة مشاركة المجتمع المحلي والمنظمات غير الحكومية في جميع جوانب عملية التقييم البيئي وقضايا الاستدامة البيئية في مدينة تعز القديمة.

– تبني حملة لحماية التراث العمراني تحت شعار: (شارك الحفاظ على تراث المدينة القديمة).

– تطوير القوانين الخاصة بالاستثمار والحماية والترميم، والمرتبطة بإدارة مناطق التراث، وإيجاد سياسات واضحة، للاتصال ما بين المجتمع المحلي، وإدارة التطوير وتشجيع مشاركة المجتمع.
– الاستفادة من المباني التراثية في تطوير السياحة الثقافية والاثرية بمدينة تعز، والتسويق الهادف لتراثها، بتنمية عدد من المواقع الأثرية، لتصبح مواقع جذب سياحي ذات جودة عالية.
– استكمال بناء قاعدة البيانات الرقمية التفاعلية لمعالم التراث العمراني لمدينة تعز الحديثة والقديمة، لتشمل كافة المعلومات والبيانات، وهو مشروع يتطلب الكثير من الوقت والجهد والتمويل.
– اعتبار البرنامج المقترح لتطوير وحماية واستدامة التراث العمراني في هذه الدراسة الحالية، أنموذجاً يمكن تعميمه على بقية المدن القديمة، التي تزخر بها محافظة تعز خاصة، وإقليم الجند الاتحادي في اليمن بصفة عامة.
– ترميم وإعادة بناء ما تم تدميره في قلعة القاهرة جراء الحرب، وغيرها من المعالم الاثرية المتضررة.
– ينبغي عند تنفيذ خطة الحفاظ على مدينة تعز القديمة أن تتم على هيئة كتل متوزعة بشكل فردي ونقطي وتحديد أي جزء من المدينة القديمة يجب الحفاظ عليه؟ وأي قسم منها يجب أن يوجه باتجاه وظيفة جديدة؟ وتحسين الظروف المعيشية المتداعية والحفاظ على التنوع الاجتماعي والاقتصادي بالمدينة، دون الأخذ بعين الاعتبار التكامل والانسجام بين هذه المباني مجتمعة وهي إحدى أهم مبادئ التعامل مع النسيج التقليدي.

المصادر والمراجع.

ابن بطوطه، الرحالة محمد بن عبدالله الطنجي (2002): كتاب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبدالهادي التازي، الأكاديمية المغربية، الرباط.

أبو كحلة، محمد عبد الرحمن (2013): دور التخطيط العمراني في مواجهة الكوارث الطبيعية وتأثيره على الهياكل العمرانية في مصر، رسالة ماجستير في التخطيط العمراني غير منشورة، مقدمة لجامعة الازهر كلية الهندسة، القاهرة.

أبو ليله، محمد محمد شوقي، وفوده، مهند علي (2017): المسارات التراثية السياحية كأداة لتحقيق التنمية المستدامة للمدن، مجلة الهندسة، جامعة الازهر، المجلد 12، العدد 42، القاهرة.

آل سالم، مبارك سالم علي (2020): الابعاد الجغرافية لمنطقة نجران ودورها في التنمية السياحية، المجلة الجغرافية العربية، المجلد 51، العدد 76.

الأكوع، إسماعيل على بن على (1986): المدارس الإسلامية في اليمن، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.

البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن **(1983)**: طبقات صلحاء اليمن المسمى (تاريخ البريهي)، تحقيق عبد الله الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار الآداب، بيروت.

البناء، وائل عبد الجليل مقبل (2008): تأثير الجوانب الإنسانية في الحفاظ على المباني التاريخية باليمن، مدينة صنعاء القديمة كدراسة حالة، رسالة ماجستير، قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة أسيوط، مصر.

با مخرمة، عبد الله الطيف بن عبد الله **(1987)**: تاريخ تعز عدن، ط3، دار الجيل، بيروت.

بظاظو، ابراهيم خليل. عفانة، سائدة (2010): إدارة المواقع الأثرية والتراثية سياحياً باستخدام برمجية (ARCGIS 9.2) دراسة تطبيقية على المساجد التراثية والأثرية في محافظة المفرق، مجلة كلية الآثار، العدد (15)، جامعة القاهرة، مصر.

بن دغر، أحمد عبيد (2005): اليمن تحت حكم الإمام أحمد 1948–1962م، مكتبة مدبولي، القاهرة

الجمهورية اليمنية (2004): وزارة الادارة المحلية، قطاع التنمية المحلية، الإدارة العامة للتقييم الإداري والانتخابات، وحدة GIS، صنعاء.

الجندي، محمد بن يوسف بن يعقوب (1989): السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد **الاكوع**، وزارة الأعلام اليمنية، ط1، دار التنوير، بيروت.

الجندي، ماهر كامل، عبد القادر، ايهاب سمير (2006): تفعيل البعد البيئي لاستدامة المدن التراثية، المؤتمر الدولي، المدن التراثية، الأقصر، مصر.

حمدان، جمال (١٩٧٧): جغرافية المدن، ط ٢، دار غريب، القاهرة.

حمدان، سوسن صبيح (2015): التحليل المكاني للمواقع الاثرية ودورها في تطوير السياحة في مدينة بغداد، مجلة الآداب، جامعة المستنصرية، العدد 114.

الحجري، محمد بن احمد **(1984)**: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الاكوع، نشر وزارة الإعلام اليمنية، ط1، دار النفائس، بيروت.

الحداد، محمد يحيى (2004): تاريخ اليمن العام، وزارة الثقافة والسياحة، ج2، صنعاء.

الحميري، محمد عبد المنعم (1980): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، القاهرة.

الرهمى، عبد الله محمد (1992): التركيب الداخلي لمدينة تعز في الجمهورية اليمنية، دراسة في السكان والمساكن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان.

الزهراني، عبدالناصر بن عبدالرحمن (2012): ادارة التراث العمراني، سلسلة دراسات آثاريه، (7)، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، جامعة الملك سعود، كلية السياحة والآثار، الرياض.

زعابة، عمر (2022): واقع وآفاق التنمية المستدامة للتراث المعماري في وادي مزاب، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، "التحديات الحضارية في ظل الألفية الثالثة (تراث – تكنولوجيا – تصميم)"، عدد خاص (4).

السروري، محمد عبده (2009): نشأة مدينة تعز في عصر بني رسول (626– 858هـ/ 1229–1454م)، ورقة علمية مقدمة إلى مؤتمر تعز على مر العصور، المنعقد في جامعة تعز، كلية الآداب، للفترة (25–27 مايو)، تعز

السيد، منى، ومطلك جمال (2019): استثمار التراث الثقافي في التنمية السياحية واهميتها في تنمية مدينة سامراء، مجلة المنارة، المجلد 26، العدد 4.

الشميري، رياض محمد عبدالله (2013): التقييم البيئي كأحد أدوات دعم الاستدامة البيئية للمدن التراثية) دراسة حالة مدينة جبلة التراثية في الجمهورية اليمنية)، مجلة العلوم والتكنولوجيا، المجلد 18، العدد (1). ص ص 20–45. اليمن، صنعاء.

الصائدي، أحمد قائد (1990): المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، وصف المدن والطرق، مجلة دراسات يمنية، يناير، فبراير، مارس، صنعاء.

الصائدي، أحمد قائد (1992): رحلة بوتا، مجلة الإكليل، العدد (1)، صنعاء.

الصفواني، صادق محمد (2004): الأوضاع السياسية الداخلية لليمن في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء.

الصرايرة، محمد نائف (2017): السياحة التراثية ودورها في صناعة السياحة وتفعيل عملية استقطاب السائحين إلى الأردن، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، كلية السياحة والفنادق، جامعة الفيوم، المجلد11، العدد 2، القاهرة.

عبدالله، يوسف محمد (1999): الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته، جامعة صنعاء، الهيئة العامة للأثار والمتاحف والمخطوطات، صنعاء.

غرايبة، خليف مصطفى (2010): التلوث البيئي: مفهومه وأشكاله وكيفية التقليل من خطورته، مجلة الدراسات البيئية، المجلد 3، ص 121–133.

فارع، فيصل سعيد (2005): مدينة تعز فرادة المكان وعظمة التاريخ، مطابع المتنوعة، تعز، اليمن.

قلعجي، قدري (تعريب) (2005): اكتشاف جزيرة العرب. خمسة قرون من المغامرة والعلم لبيرين، مكتبة مدبولي، القاهرة.

قسيمة، كباشي حسن (2010): التخطيط السياحي وأثره في مناطق ومواقع التراث الأثري، مجلة جامعة شندي، العدد 9

الكبسي، محمد حمود (2009): العمارة الحديثة في اليمن وعلاقتها بالعمارة التقليدية، المؤتمر الهندسي الثاني، كلية الهندسة جامعة عدن، 30 – 31 مارس، عدن.

المجاهد، محمد بن محمد (1997): مدينة تعز، غصن نضير في دوحة التاريخ العربي، المعمل الفني للطباعة، تعز اليمن.

المذحجي، محمد أحمد سلام (٢٠٠٣): عمارة مدينة زبيد القديمة وموقعها في خارطة العمارة التقليدية اليمنية، مجلة العلوم الهندسية، مجلد ٣١، رقم٣، كلية الهندسة، جامعة أسيوط، أسيوط، مصر.

المذحجي، محمد احمد سلام (2008): الأحياء السكنية الجديدة في اليمن – المعايير التخطيطية وتلبية المتطلبات الاجتماعية والسلوكية، ندوة الإسكان الثالثة، الفترة (20 – 23 مايو)، الرياض.

المذحجي، محمد احمد سلام (2010): المدن اليمنية القديمة (تلبية المتطلبات الإنسانية – التعامل مع التراث)، ندوة العمارة اليمنية وتحديات العصر، جامعة عدن.

المقطري، خليل قاسم محمد. والعشاوي، عبد الحكيم ناصر (2009): البعد التاريخي لمخاطر الفيضانات والتهيئة المائية في مدينة تعز (من الدولة الرسولية إلى دولة الوحدة)، ورقة علمية مقدمة إلى مؤتمر تعز على مر العصور، المنعقد في جامعة تعز، كلية الآداب، للفترة (25–27 مايو)، تعز.

النجار، خالد عبد الجليل محمد (2005): السياحة في محافظة تعز – دراسة جغرافية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أسيوط، كلية الآداب، قسم الجغرافيا. مصر.

نتائج الدراسة الميدانية والزيارات الحقلية للمنطقة، يناير – مارس 2022م.

وزارة الأشغال العامة والطرق (2010): مراجعة وتحديث المخطط العام لمدينة تعز 2025م، **مشروع** التطوير البلدي والحماية من الفيضانات لمدينة تعز، التقرير النهائي الفصل السابع، مجموعة لويس بيرجر الدولية، صنعاء.

Glasson, J., Therivel R. and Chadwick, A. (2005). "Introduction to Environmental Impact Assessment: Principles and Procedures, Process, Practice and Prospects", 2nd ed. London: UCL Press, cop.